

## الفصل الأول

### ظواهر نفسية واجتماعية عامة

● التحول الاجتماعى يتبع التحول النفسى - اختلاف المجتمعات فى الكفر والايمان ضرورة انسانية - اختلاف الشعوب سبب للتعارف بينها - تفاضل الناس فى المجتمع .  
فى الأرزاق وفى مستوى الانسانية ظاهرة طبيعية - الحرب ضرورة انسانية - الالحاد ظاهرة من ظواهر الحياة الانسانية - سقوط المجتمع يتبع حرمان أصحاب الحاجة - العبث الجماعى جريمة عظمى فى حق المجتمع - المجتمعات ينتهى امرها الى أصحاب المستوى الإنسانى - متع الدنيا لا يحرم منها غير المؤمن بالله - من يؤثر الدنيا على دين الله يترقب نهايته - المنفعة فى عبادة الله طريق الخسران - التوجه لغير الله دليل الضعف - الارتداد عن دين الله لا يشكل حرباً على الدين - الخروج عن دين الله لا يصيب دعوة الله بسوء - غير المؤمن بالله لا يقدم على القتال الا عند التفوق فى الاعداد والتحصين - اعلان الحق تعبير عن قوة الايمان - قوة الايمان كفيلا بتعويض النقص المادى فى مواجهة الأعداء - قوة الايمان فى عدم الاستسلام للصعاب والأزمات - التطبيق العملى هو محك الايمان - التجاء الانسان الى الله عند المحنة ، والتولى عنه عند النعمة - المستضعفون فى الأرض يؤخذون على استسلامهم للظلمة - الله يمهل ، ولا يهمل .



## ظواهر نفسية واجتماعية عامة

### ● التحول الاجتماعى يتبع التحول النفسى :

.. إن القرآن الكريم إذ يقول : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (١) .. يرى أن التحول النفسى مقدمة ضرورية للتغير الاجتماعى ، فالإسلام نفسه دعوة إلى التغيير النفسى أولاً من عادات المجتمع المادى أو الجاهلى .. إلى عادات المجتمع الإنسانى : هو دعوة إلى التحول من مظاهر اجتماعية معينة .. إلى مظاهر أخرى مقابلة لها تماماً ، عن طريق التبصير بأخطار المظاهر الاجتماعية الأولى ..

فإذا كان من عادات المجتمع المادى أو الجاهلى : الإمساك عن الإتفاق على صاحب الحاجة ، ويتجلى ذلك فيما يذكره الله سبحانه عن الماديين : « واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله أطعمه » (٢) .. فإن دعوة الإسلام تتجه إلى تغيير هذه العادة فى نفوس المؤمنين بالله إلى أن يصبح الإتفاق على أصحاب الحاجة عادة بديلة فى نفوسهم ، بحيث يستطيعون الإتفاق عليهم عن محبة ورضاء نفس . كما يصوره القرآن كصفة من صفات المؤمنين فى قوله : « ويطعمون الطعام على حبه ( أى حب الإطعام ) مسكينا وبتيما وأسيرا . انما نطمعكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » (٣) ..

فعادة الماديين والجاهليين هى البخل والشح .. هى الأنايية وعدم الاعتراف بالآخرين ، بينما عادة الإنسانين أو المؤمنين يجب أن تكون المشاركة بالمال ، والقوة ، والعلم والجاه .. يجب أن تركز على التعاطف ، والمساندة من قوى لضعيف ، ومن صحيح لمريض ، ومن صاحب ثراء إلى صاحب حاجة ، ومن صاحب علم إلى فقير إليه . وهكذا ...

(٢) يس : ٢٧

(١) الرعد : ١١

(٣) الانسان : ٨ ، ٩

ودعوة الإسلام إلى التحول من عادات أو تقاليد خاصة سائدة في المجتمع المادى .. إلى عادات أخرى وتقاليد أخرى يجب أن تسود ، وهى العادات الإنسانية ، أى التى تمثل المستوى الإنسانى ، تفرن دائماً بتوضيح المخاطر على المجتمع المادى من شحه وبخله : فمثلاً فيما يحكىه القرآن هنا عن عادة الجاهليين أو الماديين من سخريتهم من طلب الإلتفاق منهم على أصحاب الحاجة ، عندما يقولون : « أنظعم من لو يشاء الله اطعمه » .. تعقب الآية التى تحكى هذه السخرية بقول الله تعالى : « ان انتم الا فى ضلال مبين » .. أى فى حيرة واضحة . لأنهم لا يدركون آثار شحهم وبخلهم فى مجتمعهم . وهى آثار ستنتهى حتما بتدمير الأشحاء والبخلاء وتغيير المجتمع كله ، بسبب تفسى الأحقاد وإمساك منفعة المال العامة عن لا يملكون وهم أصحاب حاجة ملحة .

.. والتغيير النفسى الذى يعتبر ضرورة تسبق التغيير الاجتماعى لا يحدث فى نظر الإسلام بإلزام أو إكراه عن طريق السلطة الخارجية . فالحياة النفسية يؤثر فيها الاقناع والمنطق . ولكن الإلزام أو الإكراه قد يسبب عناداً مضاداً . فإن لم يبد هذا العناد فلائه قد غلف بالنفاق والتهرب من الإلتزام .

والخطوات التى يتخذها الإسلام للتغيير النفسى تتمثل :

أولاً - فى توضيح الأخطار التى تترتب على العادات والتقاليد التى تسود المجتمع المادى أو الجاهلى .

ثانياً - بعد فترة من التوضيح : النهى عنها .

ثالثاً - الترغيب فى العادات الأخرى البديلة التى تصور المستوى الإنسانى .

رابعاً - بعد فترة من الترغيب : الأمر باتباع هذه العادات المرغوبة .. وهنا يتم التحول ، إذا كان الإيمان صادقاً :

فمثلاً يرغب فى الإلتفاق ، كما تذكر سورة الحديد فى قول الله تعالى :  
« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخافين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » (٤) ..

(٤) الحديد : ٧

وفي قوله في السورة نفسها أيضاً : « وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السموات والأرض » (٥) ..

فمع كون القرآن يشير في الآية الأولى إلى أن المال مستخلف عليه من الله ، والمالك الحقيقي له هو الله تعالى ، ويشير في الآية الثانية صراحة إلى أن الله هو الذي يؤول إليه كل ما في الدنيا : يعد بالأجر الكبير والجزاء الأوفى لمن أنفق في سبيل الله وسد حاجة المحتاج معه في أمته .

وكان يكفي في الإقناع بالإفناق أن يذكر أن المالكين للمال مفوضون فيه فقط . ويجب أن يسيروا إذن في إنمائه وفي صرفه طبقاً لتعاليم المالك الحقيقي لماله ، ولكن ذكر الأجر الكبير والجزاء الأوفى للمنفق هو حث له وترغيب في أن ينفق بحريته ومشيئته . فيحفظ عليه إنسانيته التي يلتزم عن طريقها ، ولا يلزم بأمر خارج عنها .

وهكذا : فالإقناع هو العامل في التحول النفسى والاجتماعى ، وليس الإكراه والإلزام . وهكذا : التحول الاجتماعى لا يتم إلا بعد تحول نفسى .

\* \* \*

#### ● اختلاف المجتمعات في الكفر والايمان ضرورة انسانية :

.. إن حياة الإنسان على الأرض تمثل تجربة « يمر بها » وهى تجربة يتضح فيها موقفه من النعم والمتع المادية التي أحيطت بها على هذه الأرض . وهى تساوق تلك النعم التي وضع أمامها آدم وحواء في الجنة قبل نزولهما إلى الأرض ، والتي سيعيشها الإنسان نفسه فيما بعد هذه التجربة في الحياة الأخرى ، إن كان موقفه في دنياه هو موقف الممثل لطاعة الله .

والإنسان طالما هو موجود على هذه الأرض فهو بأجياله العديدة المتلاحقة يعيش في نفس التجربة إلى يوم أن يقضى الله بإنهائها ، وياتنقال الإنسان إلى مرحلة الجزاء التالية وهى مرحلة العذاب أو النعيم . أو مرحلة النار أو الجنة .

(٥) الحديد : ١٠

وكانت رسالة الله لآدم وحواء في الجنة ، ثم رسالته على الأرض إلى الأجيال المتعاقبة منهما : تدعو الإنسان فقط إلى عدم الإسراف في هذه المتع أو في هذه النعم .

إذ أن الإسراف كما هو مصدر ضرر للمسرف .. هو مصدر ضرر أيضا لمن حرم منها :

(( يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة ( اى لهم ) يوم القيامة ، كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى والباغى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون )) (٦) ..

والممثل لطاعة الله - أو المؤمن به - هو المكافح أو المجاهد في سبيل عدم الإسراف .. هو المتحكم في شهوته وفي هواه .. هو المسيطر بصومه على شهوة البطن ، والفرج ، واللسان .. وإخراج الزكاة على شهوة الملك والمال .. وبالجهاد بالنفس وبالأولاد على الأثانية والعصية .

وغير الممثل لطاعة الله - أو الكافر به - هو الذى يترك الأمر لشهوته ولهواه .. هو الذى لا يبذل جهداً في التحكم في نزوات النفس .. هو الذى لا يفرق بين الحلال والحرام ، طالما في أى منهما استمتاع للبطن والفرج .. هو الذى لا يعرف الاعتداء على حرمة الآخرين في أعراضهم ، وفي أموالهم ، وفي نفوسهم ، ولا يميز هذا الاعتداء عن الالتزام بما لا يضر الآخرين ولا يؤذيهم ولو إيذاء معنوياً .

.. ورسالة الله انقسم الناس إلى طائعين وغير طائعين .. وإلى مؤمنين وكافرين .. وإلى إنسانيين وماديين .. وإلى موحدين ووثنيين :

(( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه )) (٧) ..

(٧) البقرة : ٢١٣

(٦) الاعراف : ٣١ - ٣٣

وسيستمر هذا الاختلاف بين الناس : « ولو شاء ربك لجعل الناس  
أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين » (٨) . سيستمر المؤمنون والكافرون ..  
ويستمر الأنانيون والماديون الجاهليون . حتى يأتي الوقت المعلوم الذى  
ينتقل فيه الناس من تجربة هذه الحياة الأرضية .. إلى حياة الجزاء فى الآخرة  
.. ستستمر رسالة الله ، ورسالة إبليس معاً إلى يوم البعث : « قال رب  
فانظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم .  
قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين » (٩) ..

وهكذا : لا يأس لمجتمع مؤمن مع وجود طغيان مجتمع مادي . فالإيمان  
بالله لا يخبو ضوءه إطلاقاً . وعلى المؤمنين أن يتمسكوا بإيمانهم . فنصر  
الله لهم مرهون بقوة الإيمان والصبر على الابتلاء .



### ● اختلاف الشعوب يدعو للتعارف بينها :

.. هى سنة الحياة البشرية : أن يلتقى المتقابلان فى الوجود ، وأن يكونا  
وحدة فيما بينهما على أساس الميل الطبيعى فى لقاء أحدهما بالآخر ، ولكى  
يتم الانسجام بين وحدات الوجود الإنسانى خلق الله بينها الذكر والأثى ،  
أى خلق بينها التقابل فى التكوين كدافع إلى التقارب ، كما خلق بين كل  
مجموعة منها وأخرى ما يحرك إلى اللقاء فيما بينها .

فاعمل التقابل بين الأفراد من بنى الإنسان - فى الذكورة والأنوثة -  
وهو ذاته عامل التقارب بينها . والاختلاف بين المجموعات أو الشعوب فى  
أصلها وعرفها هو نفسه العامل الدافع على التقارب لبعضها  
البعض . يقول الله فى شأن هذه الظاهرة أو فى هذا المبدأ :  
« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل  
لتعارفوا » (١٠) . فتكشف الآية أن غاية التقابل بين الذكورة والأنوثة فى  
خلق الإنسان ، وبين الشعوب والقبائل فى المجموعات البشرية ، هى التقارب  
والتعارف وليست النفرة والخصومة .. هى اللقاء فى وئام وانسجام . وهذا

(٩) سورة ص : ٧٩ - ٨٣

(٨) هود : ١١٨

(١٠) الحجرات : ١٣

معناه : أن أفراد الإنسان لو كانوا جميعاً من الذكور ، أو جميعاً من الإناث لما كان هناك وئام وانسجام بينهم ، ولكانت الخصومة والنفرة هي السائدة في العلاقات بينهم . وكذلك لو كان الناس جميعاً من شعب واحد أو قبيلة واحدة لكان أمر العلاقة عندئذ بين الأفراد هو هذا الأمر من النفرة وعدم الوئام ، وبالتالي لما قام مجتمع إنساني تسود فيه روح الاطمئنان ، والمودة والرحمة بين الأفراد .

.. ونرى القرآن يجعل من الدلائل الدالة على الله سبحانه : أن خلق الموجودات بين الناس وفيما عدا الناس ، على أساس الزوجية ، أى على أساس التقابل والاختلاف بين أفراد النوع الواحد . يقول تعالى :  
« سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » (١١) .  
كما نراه يجعل الهدف المباشر للزوجية أو للتقابل بين أفراد الإنسان ليس التعارف فقط ، وإنما الوصول بالتعارف إلى الترابط على تحقيق السلام والاستقرار ، والتعاون القائم على الرحمة والمودة ، مما يميز شأن المجتمع الإنساني عن أن يكون مجتمع عدد وكم لا غير :  
« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١٢) .

فالتضاد في الحياة ليس عامل هدم . بل هو عامل بناء . والتقيض لا يلغى تقيضه في الوجود ، إنما يخرج منه ، كما يتحول إليه : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » (١٢) .

.. وإذن ليس هناك فضل ذاتي لأحد طرفي التقابل على الآخر .. ليس هناك فضل للذكر على الأنتى ، ولا للأنتى فضل على الذكر . كما ليس هناك فضل لقبيلة على أخرى في ذاتها ولا لشعب على شعب آخر في ذاته ، والتقابل بين الطرفين يعطى فقط : أن وظيفته هي حملها على اللقاء والتقارب والتعارف .

أما الفضل إن وجد بين أفراد الإنسان ، أو بين القبائل والشعوب فهو

(١٢) الروم : ٢١

(١١) يس : ٣٦ ، ٣٧

(١٢) يس : ٣٧

يعود إلى المعاني الإنسانية التي قد تتوفر في جانب من جانبي التقابل دون الجانب الآخر . فالرجل قد يفضل المرأة لا لأنه رجل وهي امرأة ، والمرأة قد تفضل الرجل لا لأنها امرأة وهو رجل ، ولكن لأن الفاضل منهما أكثر إنسانية في سلوكه وتهذيبه . وكذلك الشأن في تفضيل قبيلة على أخرى وشعب على آخر . فالمعاني الإنسانية هي التي يعود إليها وحدها فضل إنسان على آخر وفضل شعب على شعب ، وليست الفروق التي تعود إلى الجنس أو العرق . يقول الله في التعقيب على توضيح الهدف من الزوجية في الخلق : « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (١٤) .. ( أى إن أقربكم وأفضلكم في مقياس التفضيل عند الله : أكثركم تجنباً للانحراف في السلوك الإنساني ، وأبعدكم في التهذيب في معاملة بعضكم بعضاً ) .

\* \* \*

### ● تفاضل الأفراد في المجتمع في الأرزاق وفي مستوى الانسانية ظاهرة طبيعية :

.. ليس أفراد المجتمع متساوين - في نظر القرآن - إلا في الاعتبار الإنساني ، ولذا يجب أن يوفر كل فرد للأخر هذا الاعتبار . وقد نهى الله عن انتقاص المؤمن للمؤمن والسخرية به في قوله تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ( أى لا تعيبوا إخوانكم المؤمنين فأنتم إذ تعيبونهم تعيبون أنفسكم ) ولا تنازروا بالألقاب ، ( أى لا يدعوا بعضكم بعضاً بما يكرهه من اللقب ) بس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ( وأن سخرية بعضكم من بعض وانتقاص بعضكم لبعض .. ونداء بعضكم لبعض بما هو بغيض إليه من الألقاب : خروج عن خط الإيمان ) ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » (١٥) .. ( ومن لم يرجع عن ذلك وشبهه - وقد كان في الجاهلية - يكون ظلم نفسه ، كما ظلم غيره ) .

فالحرص على الاعتبار الإنساني لجميع الأفراد سمة للمجتمع الإسلامي

(١٥) الحجرات : ١١

(١٤) الحجرات : ١٣

.. وهو المجتمع الذى تحول بالإيمان بالله عن الجاهلية والوثنية المادية فى أى وقت إلى الروابط الإنسانية فى صلات الأفراد بعضهم ببعض .  
.. وما وراء الاعتبار الإنسانى : هناك تفاضل بين الأفراد ، فهناك تفاضل فى التقوى ودرجة الإيمان :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوياً وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم » (١٦) ..

فالناس إن خلقوا جميعاً من أصل واحد وهو التقاء الذكورة مع الأنوثة فليسوا بعد ذلك متساوين فى الطاقات البشرية ، كما إذا انتسبوا إلى شعوب مختلفة وقبائل عديدة فليس اختلافهم فى الشعوب والقبائل بلازم أن يكون سبباً لأن ينكر بعضهم بعضاً . بل بالأحرى هو سبب لتعرف بعضهم على بعض وإذا كان اتخاذ الأصل فى خلق الإنسان لا يوجب التساوى فى الطاقات البشرية فكذلك الإيمان بالله لا يوجب التساوى فى الطاقات البشرية . فكذلك الإيمان بالله لا يوجب التساوى فى مستوياته ودرجاته . بل المؤمنون يتفاوتون فى مستوى الإيمان ويفضل بعضهم بعضاً فى درجته .

.. وكذلك يتفاوتون فى الأرزاق ويفضل بعضهم بعضاً درجات فيها . ولكن الهدف من هذا التفاوت هو ابتلاء الله لمن أنعم عليهم بها ، وليس لأن يستعلى أحدهم أو يطغى بما يتميز به من مال على الآخر :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ) يخلف بعضكم بعضاً فى ملكية الأموال والتصرف فيها ( ورفع بعضكم فوق بعض ) ( أى فى الأرزاق وملك الأموال ) درجات ) ( أى جعلكم متفاوتين ومتفاضلين : يفضل بعضكم بعضاً فيما يملك من مال ويزيد فى ثرائه عن الآخرين ) ليلوكم فى ما آتاكم ، ( أى والقصد من هذا التفاوت فى ملكية المال هو الابتلاء والاختبار فيما أعطى المالك من مال : هل سيتصرف فيه طبقاً لتوجيه الله فى كتابه فيخرج زكاته ، ولا يستخدمه فى إثم أو عبث ؟ هل سيسبح فيه ويعبده من دون الله ؟ هل سيرى فى ملكية المال أنه مفوض فقط من جانب

الله : في إنمائه وثماره وصرفه ؟ هل سيرى أنه مستخلف عليه ووكيل فيه  
وليس بمالك أصيل له على الحقيقة ( ان ربك سريع العقاب ) ( لمن يخالف  
توجيهه الله وعلى الأخص في المال ) وانه لنفور رحيم » (١٧) ..  
( لمن تاب والتزم بما أراه الله من تفصيل الناس على بعض في الأرزاق  
والأموال ) .

.. وهكذا : كان تفاضل الناس في مستوى الإيمان .. وفي الأرزاق  
وملكية المال : ظاهرة طبيعية بين أفراد المجتمع لا يلغها تساوى الناس في  
كونهم جميعاً من ذكر وأنثى . الناس متساوون في الاعتبار البشري ، ولكنهم  
متفاوتون في الطاقات والاستعدادات البشرية ، والتفاوت في الطاقات  
والاستعدادات هو أساس التفاوت في الإيمان ودرجات الملكية للمال .



### ● الحرب ضرورة بشرية :

.. قد يستضعف الأفراد فيعتدى عليهم في صورة عديدة من صور  
الاعتداء .

وقد تستضعف الجماعات فيعتدى عليها في الأتفس والأموال  
والكرامات .

وقد يسخر من القيم والمبادئ العليا فيعتدى عليها بالكبت ،  
والتحريف ، والتشويه والصد عنها بكل طريق .

وليس مطلوباً من الأفراد والجماعات أن يستسلموا للاعتداء ، وليس  
مطلوباً كذلك من المؤمنين بالقيم والمبادئ العليا في حياة الإنسان : أن  
يرضوا أو يسكتوا على مواجهة الاعتداء على هذه القيم وردة .

وقد أودع في فطرة الإنسان الميل إلى المقاتلة والمدافعة حفاظاً على  
الذات . ولكنه ميل يسترشد بحكمة العقل وتوجيه رسالة الله ، فليس ميلاً

أعمى كما هو عند الحيوان ، يدفع إلى الاعتداء وليس لرفع الظلم ووقف التهديد به ، والوقاية منه .

.. وقد أذن القرآن في توجيه الرسالة الإلهية للمؤمنين بأن يباشروا القتال ضد الأعداء عند تحقق واحد من أمرين :

الأمر الأول : عندما يعتدى عليهم منهم بسلب أموالهم أو بإخراجهم من ديارهم أو بالتربص بهم وإيذائهم . يقول تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، ( أى أذن للمؤمنين بقتال أعدائهم بسبب ظلم هؤلاء الأعداء لهم بالاعتداء عليهم بالقتال وسلب الأموال والإخراج من الديار ) وان الله على نصرهم لقدير . ( ونصر الله لهؤلاء المؤمنين على أعدائهم عندئذ أمر مؤكد ومفروغ منه فهو داخل في قدرة الله ونافذ طبق إرادته ) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ( ولم يكن هناك من سبب في اعتداء الأعداء على المؤمنين إلا لأن هؤلاء أعلنوا إيمانهم بالله وتمسكوا بالوحدة في الألوهية مخالفين لهم فيما يعتقدون ويؤمنون ) . ويدخل في نطاق رد الاعتداء بالفعل : قتال الأعداء وقاية من عدوانهم وظلمهم .

والأمر الثانى : عندما يعتدى على دين الله والإيمان به فتنتهك ييوت الله أو تهدم ، أو تحرف رسالة الله في أجلى صورة لها ، وهى تلك الصورة التى يعرضها آخر كتاب نزل من عند الله : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ( أى ولولا مشروعية القتال وجوازه لرد الاعتداء ، ولولا إذن الله للمظلومين وهم المؤمنون بقتال الطاغين والمعتدين وهم الماديون والوثنيون ) تهدمت صوامع ( وهى منازل الرهبان ) وبيع ( وهى أماكن العبادة لدى النصارى ) وصلاوات ( وهى كنائس اليهود ) ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ( أى لم يبق مكان من أماكن العبادة ) ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقسوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » ( ١٩ ) .

وبمشروعية القتال عند الاعتداء أو للوقاية منه : على الأفراد

( ١٩ ) الحج : ٤٠ ، ٤١

( ١٨ ) الحج : ٣٩ ، ٤٠

والجماعات ، أو على دين الله والإيمان به ، و يقيم الإسلام هذه المشروعية على فطرة في الإنسان ، وعلى ميل أعده الله فيه للحفاظ على الذات وبقاء النوع البشرى ، وهو الميل إلى المقاتلة .

ويتوجه القرآن لمشروعية القتال وبروز الأهداف التي ينبغي على الإنسان ان يحافظ عليها ولو بالقتال : وهي حياة الناس وما فيها من حرمان الأتفس والأموال والديار ، ودين الله وما يتصل به من أمكنة العبادة وكتاب الله .

وليس الاعتداء على دين الله إذن بأقل من الاعتداء على حياة الناس وأموالهم وديارهم ، في وجوب صده والوقوف في طريقه ، ولو كانت الأرواح هي السبيل إلى ذلك : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حفا في التوراة والانجيل والقرآن » (٢٠) . .



#### ● الالحاد ظاهرة من ظواهر الحياة الانسانية :

الملحدون هم الذين يكفرون برسالة الله في دينه .. ويؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، أى يفضلون الدنيا وتمتعها المادية على السلوك السوى للإنسان فيها .. وينكرون الحياة الآخرة ويصدون عن سبيل الله ، لا بالإعراض عنها فحسب ، وإنما بحمل الآخرين على التشكك فيها ، وبدعواهم عدم جدواها وصلاحيتها وبرغبتهم في أن تبدو معوجة غير مستقيمة وغير نافعة « وويل للكافرين من عذاب شديد . الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، أولئك في ضلال بعيد » (٢١) . .

وظاهرة الإنكار لرسالة الله ، وتحدى صلاحيتها في حياة الإنسان من أجل أنها ظاهرة تصاحب الطبيعة البشرية في أى جيل ، توجد في تفر قليل أو كثير ، وتبدو أحيانا بدوا واضحا ، وأحيانا أخرى بدوا مقنعا . ولكنها لا تختفى إطلاقاً من حياة الناس . لأن هداية الله واتباعها بعد الإيمان بها

(٢٠) التوبة : ١١١

(٢١) ابراهيم : ٢ ، ٣

إذا كانت من وظيفة الدعوة لدين الله ، فهوى النفس وسيطرته على اتجاه الإنسان في حياته من وظيفة الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء ، وهوى النفس لا يدفع إلا إلى الانحراف والاعتداء في سبيل ما تطلب النفس من رغبات . وفي تبرير الطريق إلى تحقيق الرغبات تنكر النفس الأمارة بالسوء . هداية الله وتقف دون الإيمان بالله ، وتسخر من الاستقامة التي تدعو إليها تلك الهداية .

وهناك إذن بين النفوس البشرية في هذه الحياة الدنيا : نفس مطمئنة إلى هداية الله ، تقف عليها ، وتسلك طريقها .. ونفس أخرى أمارة بالسوء متمردة على تلك الهداية ، تكفر بها وتعارض سبيلها . وهذا الوضع بين النوعين من النفوس مستمر إلى قيام الساعة : « ولا يزال الذين كفروا في هوية مذمه ( أى فى شك من القرآن كآخر رسالة لله جل شأنه ) حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم . الملك يومئذ لله » ( ٢٦ ) . ويستمر شك هؤلاء فى القرآن إلى أن يفتأوا بقيام الساعة ، أو يحل بهم العذاب فى يوم الملك فيه لله وحده وهو يوم البعث والنشور ) .

والمؤمن بالله إذن لا ييأس عندما يرى الإلحاد قد انتشر أو قوى سنده ، فإنه مهيا قوى ساعده لا ييأس الإيمان فى نفس القلة المؤمنة آتئذ ، ولا يذهب به إطلاقاً . وإنما قد تكون قوته فقط فى إرهاب المؤمنين . وصدق الله العظيم حين يتحدى إبليس فى أن يكون له سلطان على عباد الله المخلصين ، فيحولهم من الإيمان إلى الكفر بقوله : « قال ( أى الله جل جلاله للشيطان ) اذهب فمن تبعك منهم ( أى من أولاد آدم ) فإن جهنم جزأؤكم جزاء مؤثورا . واستفزز ( أى استخف ) من استطعت منهم بصوتك ( أى بدعايتك ووسائل إعلامك ) واجذب عليهم بغيلك ورجلك ( أى واحشد عليهم قوتك المادية فى أنواعها المختلفة ) وشاءكهم فى الأموال والأولاد ( فتقيدهم من التصرف فى أموالهم ، وتحد من حريتهم فى توجيه أولادهم ، أملا فى أن يخضعوا لك ويتحولوا إلى أعوانك ) ودمهم ، ( وقدم لهم من وعود الإغراء ما تشاء فى جنات لهم على هذه الأرض سهلة المنال ، فيها فاكهة كثيرة ،

لا مقطوعة ولا ممنوعة) وما يعدمهم الشيطان الا غرورا . ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وحيلًا ، (٢٣) ..

فقوى الشر أو النفوس الأمارة بالسوء مهما سلطت على المؤمنين من ألوان تحدياتها : من وسائل الإعلام .. إلى حشد جميع قوات الإرهاب ، إلى انتزاع الأموال من أصحابها ، والأولاد من آبائهم وأسرههم ، إلى الوعود المغرية الخادعة بالدنيا ومتعتها المادية : فإنها لا تنزع الإيمان بالله ممن سماهم الله عباده .. وهم الذين يعيشون للإيمان ، وفي سبيله .

وهكذا : الإيمان بالله باق ، مهما اشتد ظلام الإلحاد ، والصبر وحده هو الذى سيحول ظلام الإلحاد إلى نور الإيمان يوماً ما .

وهكذا : الإلحاد مهما اشتد فإنه لا يطمس معالم الإيمان ، ولا يخيفه ولا يرهبه .

\*\*\*

#### ● سقوط المجتمع يتبع حرمان أصحاب الحاجة :

.. إن استخلاف الله للإنسان على المال فى هذه الأرض ليس معناه قصر الإلتفاق من المال على المالك له وحده ، وإنما معناه تفويضه فى إدارته وإنمائه ، على أن تكون ثمرته بينه وبين أصحاب الحاجة معه فى مجتمعه ، ولذا كان لهؤلاء حق فى المال الخاص ، وهو حق الاتتفاع بثمرته وفائدته ، تغطية لحاجاتهم . ويستوفون هذا الحق منه فى الوقت الذى يحين فيه للمالك أن يقطف ثمرته ويأكل منها :

« كلوا من ثمره اذا اثمر ( فيطلب لمن تحت أيديهم الأموال لإنمائها وتسميرها من الملاك والمستخلفين عليها من الله جل جلاله أن يباشروا الاتتفاع بثمرتها على الوجه الذى يرونه ) وآتوا حقه يوم حصاده ، ( وإذ يطلب من الملاك مباشرة الاتتفاع بثمرة الأموال التى يملكونها : فإنه فى الوقت نفسه يطلب إليهم أيضاً : أن يؤدوا حق أصحاب الحاجة من هذه الثمرة ، رغم أنهم لا يشاركون فى ملكيتها .. وأن يؤدوه من غير تأخير لهم ، فى الوقت الذى

(٢٣) الاسراء: ٦٢ - ٦٥

يصبح صالحاً للانتفاع بثمره أموالهم وهو وقت حصاده ، ويطلق على نصيب أصحاب الحاجة من ثمرة الأموال المملوكة لغيرهم : حقاً ، للإفادة بأن أصحاب الحاجة لا يقلون إلى مدى الانتفاع بثمره الأموال عن المالكين لها ) ولا تسرفوا ، ( أى فى الأكل منها ، وبذلك تبتدونها فلا يبقى منها شيء لأصحاب الحاجة ، أو لا يبقى منها إلا القليل الذى لا يفيد ) انه لا يحب المسرفين « (٢٤) . .

فأمرت الآية بشئين .. ونهت عن ثالث .. أما ما أمرت به فهو :

أولاً : أن المالكين للأمة ال : لهم حق استثمارها ، والانتفاع بثمرتها .  
وثانياً : أن عليهم أن يخرجوا من ثمرتها إذا حل وقتها من غير إرجاء :  
حق أصحاب الحاجة ليكون انتفاعهم به مساوقاً فى الوقت لانتفاع المالكين أنفسهم . وحق أصحاب الحاجة هو ما يعرف بالزكاة أو بالإتفاق لوجه الله .  
وأما ما نهت عنه فهو :

ألا يبتد الملاك ثمرة أموالهم فى الترف والعبث وأوجه الإتفاق الخاصة التى تعود على المالك بالضرر ، كما تعود على صاحب الحاجة بزيادة الحرمان ويسمى هذا التبتد بالأسراف .

ولم يكتف القرآن بتسمية نصيب أصحاب الحاجة فى ثمرة الأموال الخاصة : حقاً ، لتأكيد مشروعيتها ووجوب أدائه ، بل ينذر الأثرياء الذين يسلكون الأموال الخاصة ويخلون بثمرتها فلا يخرجون منها حق أصحاب الحاجة ، أو يسرفون فى إتفاقها فلا يبقى لهم شيء منها : بوجوب تغييرهم وإحلال غيرهم محلهم ، فى ملكية هذه الأموال وتثميرها ، ممن يحافظون على حقوق الآخرين فى ثمرة المال ، وإن كانوا لا يملكون فيه ، يقول تعالى :

« ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله ( والاتفاق فى سبيل الله هو إعطاء المحرومين حقهم فى ثمرة الأموال المملوكة لغيرهم ) فمنكم من يبخل ، ( أى فلا يؤدى هذا الحق ) ومن يبخل فانما يبخل

عن نفسه ، ( أى أن أثر بخله سيعود عليه نفسه ، وهو تقويض مجتمع الأغنياء البخلاء وإقامة مجتمع بديل يؤدي فيه الغنى حق المحروم والفقير وهو المجتمع الإنساني ) والله الغنى وأنتم الفقراء ، ( ويجب أن تعلموا : أنكم بأموالكم فقراء إلى الله ، إذ الله وحده صاحب الغنى .. لأن غناه بذاته ) **وان تتولوا** ( أى تنصرفوا عن الإلتحاق المطلوب ولا تسمعوا لهذا الإنذار الإلهي ) يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم « (٢٥) ٠٠ ( فى البخل . أى لا يكونوا كما كنتم ماديين . وإنما يكونون إنسانيين ، تحكمهم الروابط الإنسانية وحدها ، وهى التعاون .. والتواد .. والتآخى . وهكذا : حق المحروم فى مال المالك حق إلهي .. لا يسقط إطلاقاً وإنما يسقط من يشح فيه من المالكين .. ويبقى الله صاحب الملك والتدبير .

\* \* \*

### ● العيب الجماعى جريمة عظيمة فى حق المجتمع :

.. إن أهم ما يحفظ على الأمة تماسكها هو ما تؤمن به من قيم ومثل عليا . لأن مجتمعها أساساً قام على هذه القيم والمثل . ولذا تجب وقايتها من العيب أو التهديد به ، وأسلوب الوقاية يختلف باختلاف المباشر للعيب ، فإن بشرته مجموعة متفكة فيما بينها كان خطرها أكبر وكان جرمها واضحاً فى حق قيام المجتمع وبقائه متماسكا . ومن أجل ذلك نجد القرآن الكريم ينصح بمقابلة مثل هذه المجموعة الهادمة بالاستئصال أو بإبعادها تماماً من المجتمع يقول تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ( بتحريف ما لله وللرسول ، أو بالسخرية منه ، أو بالصد عنه ودعوة الناس إلى تركه وعدم الإيمان به ، أو بتوجيه الناس إلى الإلحاد وتزيين الجاهلية فى نفوس الشباب منهم ) ويسعون فى الأرض فساداً ( وبذلك يخلقون جواً غير مستقر فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، ويشيعون الاعتداء على حرمان الآخرين فى أموالهم وأعراضهم ، ومساكنهم ) أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » ٠٠

(٢٥) محمد : ٢٨

فأية صورة هنا من صور المقابلة للبعث الجماعى بالقتل ، أو التصليب ، أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف ، أو النفى من أرض المجتمع - كفيلا بإبعاد الاضطراب والفساد فعلا ، أو بإبعاد التهديد به . وفي الوقت نفسه أية صورة من هذه الصور هي إعلان عن عدم وفائهم وولائهم في الحياة الدنيا لمجتمعهم ولبائده : « ذلك لهم خزي في الدنيا ، ( هذا بالإضافة إلى ما ينتظرهم في الآخرة من عذاب لا يحد كنهه ) : ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (٢٦) .

والجزء على البعث الجماعى على هذا النحو يعتبر ضرورة اجتماعية للبقاء على وحدة المجتمع وبقائه صفاً واحداً في مواجهة أعدائه .

وربما يقال : إن الإسلام بتحديد هذا الجزء الكبير يكبت حرية الرأي والعقيدة . ولكن في واقع الأمر الإسلام لا يتجه بهذا الجزء لكبت حرية الرأي . وإنما يتجه به إلى الحفاظ على حرية الاعتقاد للأخريين الذين لا يشاركون في هذا البعث الجماعى ، وعلى حقهم في ممارسة ما يعتقدونه حسب إيمانهم والتزامهم بنتائجه .

على أن الإلحاد أو محاربة رسالة الله ودعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وإشاعة البلبلة والاضطراب عن طريق ذلك : ليس تعبيراً عن رأى ، وإنما هو إنطلاق وفوضى ، ومحاولة لتقويض المجتمع أو إضعافه على الأقل ، وحمله على قبول التبعية لأجنى عنه هو عدو له في حقيقة الأمر . ومحاولة تقويض المجتمع بالسخرية من قيمه العليا التي يؤمن بها ، وبالتشكيك في المبادئ التي هي أساس تماسكه وبقائه إن لم تقابل بصورة من صور الجزء التي حددتها الآية هنا فإنها ستؤدى إلى حرب أهلية تدفع الأمة ثمنها ، من التمزق والوقوع تحت سلطة سفك الدماء والتعذيب والتشريد لأولئك الذين كانت جريمتهم أن قالوا : ربنا الله .

والإسلام يقبل الخلاف في رأى داخل إطار المبادئ العامة التي رسمت في رسالة الله في القرآن والسنة الصحيحة . ولكن إن أدى الخلاف إلى نزاع أو محاصمة في الأمة فيوجب على المختلفين جميعاً مراجعة كتاب الله وسنة رسوله :

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ( أى إن كنتم قد تحولتم عن الجاهلية والمادية ) ذلك خير وأحسن تأويلاً » (٢٧) . .

إن الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ليسوا أفراداً لا تربط بينهم صلة إلا الاتجاه إلى الالحاد فرادى وصدفة . وإنما هم مجموعة تتكون قصداً وتستهدف محاربة دين الله والسعى بالفساد في أرض الأمة ومجتمعها . والقصد من محاربة دين الله بأى أسلوب ، وإشاعة العبث في الأمة عن أى طريق هو عماد جريمتهم الاجتماعية . ولذلك يستحقون : أن يقتلوا ، أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفوا من الأرض .

\* \* \*

### ● المجتمعات ينتهى امرها الى اصحاب المستوى الانساني :

الرسول جميعاً هم أصحاب دعوة إلى الإنسانية . أى أصحاب دعوة إلى إحلال المبادئ الإنسانية في الروابط بين الأفراد داخل المجتمع الواحد ، وبين المجتمعات بعضها مع بعض محل المبادلات المادية والمنفعة والمصلحة وحدها التي تركز على الأناية .

إذ العلاقات بين أفراد الإنسان أو بين المجتمعات الإنسانية ، إما أن يغلب عليها التواد ، والتعاون ، والسلام ، وعدم القلق والاضطراب ، بجانب ما هنالك من تبادل المنافع ، ولكن في ظل المبادئ الإنسانية . ومثل هذه العلاقات تدعو إليها رسالة الرسول جميعاً . ومن هنا كان الرسل حملة السلام إلى الإنسانية ، وكان دين الله هو الإسلام . وإما أن تسيطر عليها المنفعة أو الأناية وحدها ، فالقوى في علاقته بالضعيف ، والكبير في صلته بالصغير ، ينشد المصلحة الخاصة به وحدها ، ولوتضيع في سبيلها مصلحة الضعيف أو الصغير . وهنا يسود الاستعمار في أشكاله المختلفة بين الشعوب ، ويسود أكل مال اليتيم والضعيف في صورة ما بالباطل في المجتمع الواحد في غبر رحمة أو شفقة .

وقد أوحى الله إلى الرسل جميعاً باعتبار أنهم أصحاب دعوة إنسانية بهذا المضمون : أوحى إليهم بأن يهلك المعارضين لهم ، وهم الظالمون أو الآكلون أموال الناس بالباطل في المجتمعات البشرية ، وبأن يسكنهم هم الأرض من بعدهم . ويحكى القرآن الكريم وعد الله هذا في قوله تعالى : « فلو أوحى إليهم (إلى الرسل) ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم (أى الرسل وأصحاب الدعوة إلى الله بعدهم) الأرض من بعدهم » (٢٨) . . ثم يشير القرآن إلى أن هذا الوعد قد سجل في الزبور من كتب الرسل السابقين ، كما سجل في القرآن الآن : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر (وهو القرآن) : أن الأرض يرثها عبادى الصالحون (٢٩) . . أما تسجيله في القرآن فتقصه سورة النور في قول الله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً » (٣٠) . .

ويقصد القرآن بالذين آمنوا وعملوا الصالحات : الإنسانيين ، وهم الذين يقيمون علاقتهم بالآخرين على أساس إنسانى أولاً ، من المساواة في الاعتبار البشرى ، وفي الحقوق الإنسانية في البقاء ، والعمل ، والحياة الإنسانية الكريمة الحرة . ويقصد بالظالمين : الذين تتمكن منهم النزعة المادية الخالصة التى لا تنطوى على رحمة بالضعفاء ولا بالصغار .. أولئك الذين يعيشون على حساب حياة غيرهم ، أو على حساب كرامتهم وحقهم في الوجود ، بأى صورة وبأى أسلوب .

والله إذ يعد بإهلاك الظالمين يعد في الواقع بأمر موجود قائم بالفعل ، ولكنه يظهر عندما يصل فقط إلى نهايته . فالأفراد ، أو المجتمعات أصحاب النزعة المادية لا بد أن يخاصم بعضها بعضاً ، وأن يقاتل بعضها بعضاً ، وأن يحارب بعضها بعضاً . فإن لم تغير حرب واحدة نزعتهم المادية الأثانية تلتها حرب ثانية فثالثة .. وهلم جرا . إلى أن تفضى هذه النزعة أو تكبت ولو إلى حين ، ويحل محلها الاتجاه الإنسانى بين الأفراد والجماعات . فإذا ضعفت

(٢٩) الانبياء : ١٠٥

(٢٨) ابراهيم : ١٣ ، ١٤

(٣٠) النور : ٥٥

هذه الاتجاهات بعد ذلك وقويت النزعة المادية : فمعنى ذلك وجود روح الخصومة والقتال والحرب . هكذا يدور الأمر بين اتجاه إنساني ونزعة مادية .. يدور الأمر بين تعاون وتواد وطمأنينة من جهة ، وقلق واضطراب وخصومة وحرب من جهة أخرى . وتلك سنة الله في الوجود الإنساني إلى يوم البعث ، وسنته كذلك في أن يتقوض مجتمع المادية ليحل محله مجتمع الروحية أو المجتمع الإنساني .



### ● متع الدنيا لا يحرم منها من لا يؤمن بالله :

كثير من الناس يعتقد أو يتصور : أن الإيمان بالله سبب في فيض الله من نعمه على المؤمنين به .. وبالتالي أن من لم يؤمن بالله لا سبيل له إلى متع الدنيا ، أو ينبغي أن تسد عليه منافذ المتع فيها .

ولكن في رأى القرآن ليست هناك صلة وثيقة أو ضعيفة بين الرزق في الدنيا ، كثرة وقلة ، من جانب ، والإيمان أو عدم الإيمان بالله من جانب آخر ، أى لا يربط الله سبحانه بين الرزق والإيمان ، وبين عدمه والكفر بالله . يقول جل جلاله :

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » (٣١) .. أى أن أولئك الذين يكفرون بالآخرة — وهم الماديون الذين لا يرون في حياة الإنسان إلا المتع المادية وحدها — ويقصرون سعيهم وعملهم في الدنيا على تحصيل متعها وما يعد زينة فيها .. هؤلاء .. لا يبخس نصيبهم من هذه المتع المادية بسبب كفرهم وبعدهم عن الإيمان بالله واليوم الآخر . بل يوفون ما يكون لهم ، بغض النظر عن معارضتهم الإيمان ورسالة الله للإنسان على هذه الأرض . ولكن لهم عقابهم في الآخرة في نار جهنم جزاء لعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر مهما كان لهم من عمل خير في حياتهم الدنيوية ، طالما كانوا مصرين على عدم الإيمان ، فإنه

(٣١) هود : ١٥ ، ١٦

عديم الاعتبار ، ولا يغير من استحقاقهم الجزاء السيء شيئاً  
« وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » ..

فالقرآن الكريم يضع أمام الرسول عليه السلام المبدأ - وهو مبدأ  
الفصل التام بين الاستمتاع بمتع الحياة الدنيا والكفر بالله واليوم الآخر  
- بعد أن يؤكد له في آية سابقة في قوله تعالى : « فان لم يستجيبوا لكم  
( أى لم يستجب لدعوتك هؤلاء الماديون المكيون ) فاعلموا أنما أنزل بعلم الله  
( أى فتأكد أن القرآن أنزل إليك بعلم الله ) وأن لا اله الا هو » ( ٢٢ ) ..  
( كما تتأكد أنه ليس في الوجود إلا الله وحده . وهى دعوة الرسالة  
الإلهية عموماً ) بعد أن يؤكد له هاتين الحقيقتين : حقيقة وقوع القرآن  
وحقيقة وجود الله وحده في هذا الكون .

والقرآن يفصل فصلاً واضحاً بين نعم هذه الحياة ومتعها من جانب  
والكفر والإيمان بالله من جانب آخر ، لأنه يرى : أن الدنيا والحياة فيها  
فترة اختبار للإنسان . هى اختبار بالحصول على النعم ، واختبار أيضاً  
بالحرمان منها : « **وَنَبِّئُوهُمْ بِأَنَّهُمْ** ( وهو الحرمان والفقر ) **وَالْخَيْرِ**  
( وهو النعم ومتع الحياة المادية ) **فِتْنَةٌ** » ( ٢٣ ) .. فمن أعطى نعمها  
فهو مختبر بطريق التصرف فيها ، فمن اهتدى إلى الإيمان بالله وإلى الطريق  
السوى في معرفة حقه وحق الآخرين فيما يملك منها كان في طاعة الله .  
وكذلك من صبر على الحرمان منها ولم يقنط من رحمة الله .

ولو قصر الله الدنيا ونعمها على مؤمن به لما اتضح للآخرين معه موقفه  
من الحرمان من هذه النعم . ولو قضى الله أيضاً بحرمان الكافر لما أتاح له  
فرصة تظهر فيها تصرفاته عند الاستمتاع بها .

ثم من جهة أخرى ليست الدنيا دار جزاء ، وإنما دار الجزاء هى الدار  
الآخرة وحدها . وطالما أن الدنيا ليست دار جزاء على الإيمان والكفر بالله  
فالعادل الإلهي يقضى بأن سعى الإنسان من أجل الدنيا ، ولو كان مصراً في  
معارضته للإيمان بالله ، لا بد أن يصل إلى غايته ويحقق نتائجها .  
ومن هنا كان منطوق القرآن في هذا الشأن في قوله تعالى :

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » . منطق العدل ومنطق الأمر الطبيعي الذي ينطلق إلى نهايته بعد تحقيق مقدماته ، دون عقبات تعترض طريقه .

والمدعون للإيمان بالله وهم وحدهم الذين يتشككون بسبب الحرمان :  
أو يهتز إيمانهم بغير المؤمن الذي تكون له وجهة في الدنيا بماله أو بقوته .



### ● من يؤثر الدنيا على دين الله يترقب نهايته :

فرق بين أن يستمتع الإنسان بمتع الحياة الدنيا ، من غير أن يؤثرها على دين الله ، وبين أن يؤثر هذه المتع على دين الله . فالمستمتع بمتع الحياة الدنيا من غير أن يؤثرها على دين الله لديه مكان - وربما أوسع - في حياته لتطبيق مبادئ الدين مع استمتاعه ، جنباً لجنب .. لله نصيب في ماله ، وفي تجارته ، وفي عمله .. يشارك في الجهاد في سبيل الله بنفسه ، وولده ، وماله .. هو إنسان في علاقاته بالآخرين ، يشاركهم في سرائهم وضرائهم ، مؤمناً بالله كما هو مؤمن بالبعث واليوم الآخر .

ولكن من يؤثر متع الحياة الدنيا على دين الله ليس لديه في الحياة أو مكان لتطبيق مبادئ دين الله . يؤمن بالحياة الدنيا وحدها ، بينما يكفر الله ، وإن لم يعلن الكفر به ، يؤمن بالبقاء الأبدى لهذه الحياة ، بينما ينكر اليوم الآخر . أسرته وعصبيته أقرب إلى نفسه وقلبه من الله ورسوله . حرصه على المال المدخر والتجارة الرابحة ، والمسكن المترفة يملك عليه جميع نفسه ، فلا يرى بعدها إنساناً يعطف عليه ، أو جاراً بعيداً أو قريباً يشاركه عواطفه وأحاسيسه . إنه يعيش لنفسه وأقربائه ، دون من سواهم . إذا ناداه الجهاد في سبيل الله صم أذنيه ، وإذا واجهه ما ينكره دين الله تجاوزه ببصره ، وإذا طلب إليه أن يشارك في إيذاء الآخرين أو في تعذيبهم أو إرهابهم استجاب لما يطلب منه ، طالما يعود عليه من المشاركة بمال أو جاه يستخدمه في الحصول على مال جديد .

نوعان إذن من الناس : نوع تواتيه نعم الله فلا يطغى بها ، وإنما يقدم

في حياته ما لله على ما لنفسه ، ومع ذلك يعرف فضل الله فيستمتع به . ونوع تواتيه هذه النعم فيكفر بها : إذ يوجهها إلى الترف ، أو الطغيان ، ومن ثم إلى الإلحاد والصد عن دين الله . فهو لا يرى الله وراء هذه النعم ، فضلا عن أن يراه هو مصدرها .

هذا النوع الثاني بنظرته إلى هذه النعم ، وبسوقه منها على هذا النحو ، يهدم ذاته أولا . فليس هناك مترف لم يصل بترفه إلى العبث والفساد . وليس هناك طاغ لم يسلك بطغيانه طريق الظلم . والظلم طريق الضياع .

والآية الكريمة في قول الله تعالى : ( قل ان كان آباؤكم وإبنائكم وأخوانكم وإزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ( اى كسبتموها ) وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بأمره ) (٢٤) .. هذه الآية تقرر كنتيجة ضرورية عقاب الله ، بإيثار الدنيا ومتعها على دين الله . وعقاب الله يأخذ صورا عديدة . أما الدنيا التي تؤثر فهي هنا ممثلة في العصبية ، والأموال المدخرة والتجارة السائدة ، والمساكن المحببة . وأما دين الله فهو منحج الحياة الإنسانية المستقيمة .

.. وإذا شئنا الآن أن نحدد توجيه القرآن في هذه الآية . فنجد أن الأمر المبغوض إلى الله هو فقط وقوع الإنسان تحت إغراء ما في الدنيا من متع . تلك المتع التي تتصل بالقوة المادية الممثلة في العصبية . كما تتصل بالمال المدخر والتجارة المزدهرة ، وبالإقامة في المساكن المريحة . وآية وقوعه تحت الإغراء : تجاهله دين الله في نعم الله عليه .

وإذ تربط الآية هنا بين عقاب الله من جانب ، وإيثار متع الدنيا على دين الله من جانب آخر فإنها تصور مبدأ هاما من مبادئ الحياة الإنسانية لا يتخلف إطلاقا هو : أن من يؤثر الدنيا على دين الله ينتظر على الأقل الزوال حتما . والمؤثر للدنيا هو الطاغى والباغى ، والعاث بمتع الدنيا . لا يعرف إلا نفسه وجماعته ، كفر بنعمة الله ، ولم يشكره عليها بتوجيهها فيما أوصى به كتاب الله .

\* \* \*

## ● المنفعة في عبادة الله طريق الخسران :

بعض الناس يدخل في دين الله ، لا إيماناً به كطريق ومنهج مستقيم في حياة الإنسان ، ولكن كسبيل إلى تحصيل منفعة . وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا البعض بقول الله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف ، ( أى يعبدوه وهو واقف على طرف .. غير مستقر في إيمانه ، وغير مطمئن في عبادته ، يترقب الأمر ) فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ( أى إن أصابه مال وفضل من الله هدأ بانه مؤقتاً . وإن لم يصبه مال ، بل استمر على وضعه في الفقر ، أو فقد جزءاً مما يملك وكفى وأدار ظهره لما آمن به . فإنما إيمان منفعة دنيوية ، وانضمامه إلى جماعة المؤمنين سبيل للحصول على هذه المنفعة . وهذا البعض من الناس يحكم القرآن على سلوكه الانتهازي ، بالخسران ، في قوله ) : خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين » (٣٥) . . فهو خاسر في الدنيا ولو أصاب مغنماً من إعلانه الإيمان . لأن الإيمان لم يكن عندئذ مصدراً لمصلحة تعود على الذات كإنسان بالهداية ، واستقامة السلوك الإنساني ، بل كان مصدراً لعرض دنيوي يأتي ويزول . وهو خاسر في الآخرة لأن الله يعلم نفاقه فيما آمن به . ويعلم أنه متأرجح في هذا الإيمان . فإيمانه غير مقبول عنده ، وإن عبد الله فصلي ، وصام ، وزكى : « وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون » (٣٦) . .

.. هذا الذي يعرضه القرآن الآن - كظاهرة من ظواهر المجتمع البشري - يعود إلى مبدأ في الطبيعة البشرية .. يعود إلى الرغبة في الاحتراف بالقيم العليا ، واستخدامها كوسيلة إلى الحصول على المنفعة بدلا من ممارستها في حياة الإنسان . والذين يميلون إلى الاحتراف بها ينتهزون الوقت الملائم . وهو وقت الإعلان عن إصلاح أو تغيير جذري في المجتمع . وهو عادة الوقت الذي تطرح فيه قيم جديدة ، وكذلك الوقت الذي يترقب فيه أصحاب الدعوة إلى الإصلاح أو التغيير : أن يبارك دعوتهم أنصار لها

من بين أعضاء المجتمع . وقد كانت دعوة الإسلام دعوة إلى تغيير المجتمع القائم على عهد الرسالة ، وتحويله من مجتمع تسود فيه المادية العلاقات بين الناس إلى مجتمع تملو فيه الروابط الإنسانية غيرها من روابط أخرى . فقد جاء قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ( تعبيراً عن الترابط الجديد . وهو الترابط على أساس الهداية الإلهية ومبادئها . وهي مبادئ تمثل القيم العليا في حياة الإنسان . في الوقت الذي يحذر فيه من العودة إلى العلاقات المادية التي كانت ، وهي علاقة الدم أو العشيرة والقبيلة ، عندما تستطرد الآية فتقول ) : ولا تفرقوا ، واذكروا نعمته الله عليكم ( أى الآن بعد الهداية ) إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً » (٣٧) ..

وفي عصرنا السياسى تتغير القيادات في المجتمع لسبب أو لآخر . وفي كل مرة يعلن فيها عن التغيير يطل المحترفون بالقيم العليا ، ويعلنون الولاء أو الإيمان بالجديد ، انتهازاً فقط للفرصة الجديدة . وهذا الإعلان للولاء يتكرر ، كلما تكرر التغيير أو أعلنت دعوة إلى الإصلاح .

والاحتراف بالقيم العليا يقوم أصلاً على النفاق والانتهازية . والنفاق يمثل خطراً كبيراً على دعوة الإصلاح ، أو على وضع التغيير في قيادة المجتمع . ومن أجل ذلك يتعرض القرآن للنفاق وتنتأجه ، في غير موضع . وأدنى ما ينبه إليه أن يحذر الرسول عليه السلام كقائد وحاكم وصاحب رسالة لتغيير المجتمع ؛ من طاعة المنافقين ، في قول الله تعالى : « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذنهم وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلاً » (٣٨) ..

أما المباشرون من المنافقين للاحتراف بالقيم العليا فيكشف عن مصيرهم طال الوقت أم قصر ، بأنه مصير الخاسرين . وهو تجارة خاسرة ، مهما حصل صاحبها من منفعة مادية . لأن المحترف بالقيم العليا يبرهن على أن نفسه من النفوس الأمارة بالسوء . من النفوس الضعيفة التي تتلون وتشكل ، حسبما يراد لها ، فنفسه الآن لا تقاس بمستوى الإنسانية وإنما بمعيار المال كسلعة من السلع العديدة في هذه الحياة .

\* \* \*

## ● التوجه لغير الله دليل الضعف :

إن دعوة الرسالة الإلهية إلى التوحيد ، وعبادة الله وحده ، وطرح الشرك والوثنية ، هي دعوة الإنسان إلى الاحتفاظ بكرامته ، والسعى نحو تنمية ذاته في خصائصها البشرية ، من الحكمة في التفكير .. والجمال في الوجدان .. والعزم في الإرادة .. فالمنطق السليم يجنب الإنسان : الحقد والهوج في التصرف ، والإحساس بالجمال في الوجدان يدفع إلى الخير والحب والعطاء للآخرين في غير مقابل . والعزم ينحى عن الإنسان التردد في مباشرة العمل .

فوحدة الألوهية – عند الاعتقاد بها – تجعل الإنسان ثابتاً في تقديسه لصفات الكمال التي تتصف بها الذات الإلهية ، وفي سعيه نحو التقرب منها ، بسحاكاتها . وتأكيد دعوة التوحيد في رسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام هو لإيقاظ الوعي في المؤمن الذي يؤمن بها ، بأن يكون الإنسان القوى الذي يسيطر على هواه وشهوته ، والإنسان العزيز على غيره وعلى الأحداث ، فلا يغلب على أمره بمجرد المواجهة ، ولا يستسلم عند أدنى احتكاك واختبار له .

ومتى صار الإنسان إلى القوة والسيادة على شهوته وهواه ، ووصل إلى المنعة على غيره والأحداث معاً ، فهو ذلك الإنسان الذي يتمتع بمستوى رفيع في الإنسانية : لا يظلم .. ولا يعتدى .. ولا يطغى .. ولا يئأس . ولا يخاصم من أجل شهوة .. ولا يحقد بسبب افتقاره ما عند الآخرين .



ولهذه الآثار الإيجابية في مستوى الإنسانية التي تصحب الإيمان بوحدة الألوهية يحذر القرآن البشر إلى يوم البعث . من الشرك والوثنية .. أى يحذر من عبادة غير الله : إنساناً .. أو حجراً .. أو طبيعة من الطبائع .. أو موجوداً من الموجودات .. أو معنى من المعاني : كالعلم ، والإنسانية ، والمجتمع ، والدولة ، والحزب . ويرى أن الوثنية هي مصدر الانحطاط في الإنسان .. هي مصدر الضعف فيه .. هي مصدر بعده عن الخالق فيما له من صفات الكمال .. هي مصدر الاستسلام للشهوات والأهواء .. هي مصدر الشرور في البشرية . والوثنية هي التوجه لغير الله ، في التعظيم

والإجلال ، والخضوع والطاعة . وقد شاء القرآن الكريم أن يوضح آثار الوثنية التي تنعكس على المشرك بالله ، فأجملها في : الضعف . وهو ضعف الإرادة .. ضعف النفس .. ضعف المقاومة للإغراء .. ضعف المقاومة للاعتداء .. ضعف الاستسلام للوهم والخرافة .. ضعف التصور للعالم والكائنات فيه . يقول تعالى :

« يا أيها الناس ( ويقصد بالناس هنا أولئك الذين يتجهون بعبادتهم إلى الوثنية والشرك ) ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله ( أى الشركاء الذين تجعلونهم أندادا لله ، وتعبدونهم من دونه ) لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، ( أى هم من الضعف فى آحادهم وفى تجمعهم معاً ، بحيث لا يستطيعون أن يخلقوا أضعف مخلوق ترونه وهو الذباب ) وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ( بل أزيد من أنهم لا يستطيعون خلق الذباب ، إنهم لا يستطيعون أن ينقذوا منه ما قد يكون قد استولى عليه منهم . فليست لهم قدرة على الإيجاد ، ولا على الإنقاذ لشيء غلبوا عليه من مخلوق ضعيف كالذباب ) ضعف العظام والمتلوب . ( وإذن ، فهؤلاء الذين جعلوهم أندادا لله ضعاف فى ذواتهم بالبرهان العملى ، وكذلك من يعبدونهم من هؤلاء الوثنيين ضعاف كذلك ، بدليل أنهم يعظمون من لا شأن له . ومن يعظم من لا يعظم ، ضعيف فى تصوره وتقديره ) . ما قدروا الله حق قدره ، ( أى : وساعة أن عظموا ما لا يعظم ، وعبدوا ضعيفاً فى ذاته من الأوثان والشركاء ، ولم يتجهوا بعبادتهم لله وحده ، ثم يتدروا الله حق قدره ، بل ساءوا تقديره ) ان الله لقوى عزيز » ( ٢٩ ) . . ( فالله هو القوى وهو صاحب المنعة على غيره . فإشراكهم غيره - وهم الضعفاء - له فى العبادة : بخس فى تقدير ذاته وصفاته سبحانه ) . ثم طالما الله هو القوى العزيز لعبادته وحده تنعكس على العابد له ، والمؤمن به . وإذن الإيمان بوحدة الألوهية هو مدخل القوة فى الإنسان ، ومدخل عزته ومنعته على الآخرين ، وعلى الأحداث التى تواجهه . بينما التوجه لغير الله دليل ضعف الإنسان ، ثم فى الوقت نفسه مصدر استمرار ضعفه : فى تصوره .. وفى تقديره للأمر ، وحكمه على الأشياء .

وهكذا من يعبد غير الله لا يستحق أن يشار إليه كإنسان . وما أكثر الضعفاء في عالمنا المعاصر الذين يعبدون غير الله .

\* \* \*

● الارتداد عن دين الله لا يشكل حرجاً على الدين :

.. إذا طغت موجة المادية ، وانتشر الإلحاد في فترة ما ، فإن كثيراً من المؤمنين بدين الله يخشون على دينه ، ويقلقون على التدين به من الارتداد عنه تحت تأثير تلك الموجة الطاغية ، ويغلب عليهم التشاؤم . ولكن يجب أن يكونوا على بينة من أمرين :

الأمر الأول : أن مجال الحياة الدنيا إلى يوم البعث لا يخلو من الإيمان بالله والكفر به معاً ، والصراع بينهما . إذ ذلك ما وعد به الله إبليس عندما سأله بقوله : « قال ( إبليس ) رب فانظرني الى يوم يبعثون . قال ( الله جل جلاله ) فإنيك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم . قال ( أى إبليس ) فبعزتك لأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين » (٤٠)

الأمر الثانى : كما أتاح الله الفرصة في الدنيا لإبليس كى يمارس نشاطه في الشر والغواية ، فإنه يعد - محافظة على بقاء الإيمان بدينه - بتغيير المجتمع الذى يرتد عن دين الله ويكثر فيه الإلحاد ، ويشارك إبليس جولته في الشر ، ويأتى بمجتمع آخر تقوم الروابط فيه على المحبة بين أفرادهم بعضهم مع بعض ، وبينهم وبين الله سبحانه : يحبونه ويحبهم .. أعزاء وأصحاب منعة على أعدائهم ، بينما هم في طاعة بعضهم البعض .. لا يدخرون وسعاً في المحافظة على دين الله ، يقدونه بالمال والنفس .. ولا يخافون في سبيل دينه حاكماً أو صاحب بطش وقوة ، ولا صاحب نقد أو موقهاً للوم أو عتاب : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ( أى في طاعة بعضهم بعضاً ) اعزة على الكافرين ( أى أشداء وأصحاب قوة ومنعة على معارضيتهم وأعدائهم ) يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » (٤١) . .

وهذا الوعد من الله بتغيير مجتمع المرتدين عن دين الله عند ارتدادهم ، وإحلال مجتمع مؤمن بالله قوى في إيمانه محله : هو مبدأ يصور إرادة الله وفضله على البشرية . ولكن متى يكون هذا التغيير للمجتمع الذى يتفشى فيه الإلحاد والارتداد ؟ . ذلك في علم الله : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » (٤٢) ..

.. ففكرة الإلحاد وشيوع الارتداد عن دين الله في مجتمع ما يجب ألا يخيف مؤمناً بالله فيه . وتقرّب العلماء للولادة والحكام في مجتمع ما على حساب الإسلام يجب ألا يفزع المتوجسون خيفة فيه على دين الله من طغيان المادية . وشيوع التحريف والخلط والبس في إقامة الحجّة في مجتمع ما على تخلف الرسالة الإلهية أو على سلبيتها يجب أن يكون بالأحرى مشعل أمل في التغيير المرتقب الذى وعد به الله سبحانه . فطالما أفسح الله في هذه الحياة الدنيوية للشيطان مجالاً للشر ، الذى يتمثل في الإلحاد ، وفي الضلال ، وفي الارتداد عن دين الله تحت أى شعار ، فإنه حتماً يبقى في هذه الحياة على الإيمان به قائماً في وجه الشر ، لا يفنى كذلك إلى يوم الدين . ولكن فقط الإبقاء على الإيمان بالله في هذه الحياة الدنيا يكون بإحلال مجتمع مؤمن محل المجتمع الذى كثر إلحاده وارتداده عن دين الله .

ليس هناك حرج إطلاقاً على دين الله من الإلحاد وطغيان المادية ، وإن تكن هناك أزمة بالنسبة للمؤمنين القلة عندئذ . وهذه الأزمة ستزول حتماً ، « فان مع العسر يسراً . أن مع العسر يسراً » (٤٣) ..

.. هي أزمة للمؤمنين القلة عندئذ ، ولكنها ليست أزمة للإيمان . لأن الإيمان لا يستأصل ولا يضار ، طالما موطنه القلوب . فأى قلب ينبض بالإيمان كهيل بالمحافظة عليه . ثم ينقله إلى قلب آخر وآخر ، حتى يتكون مجتمع جديد لمؤمنين جدد ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .

لا يأس إطلاقاً مع وجود بصيص من نور الله في هدايته على الأرض ، مهما قل عدد المؤمنين وكثر الآخرون الملحدون والماديون :

« فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين » (٤٤) ..



● الخروج عن دين الله لا يصيب دعوة الله بسوء :

يظن بعض الذين يعلنون إيمانهم بدين الله في صورة أو في أخرى : أن دين الله مدين لهم بالفضل ، وأنهم يعينونه على البقاء . كما يظن بعض الآخرين ممن يصرحون بتحديدهم لدين الله وإعلان السخرية منه : أنهم سيئون إليه ويتقصون من قيمته بمعارضتهم أو بتحديدهم . والقرآن يجعل من بين مبادئ دين الله الواضحة : أن منفعة الهداية به تعود على المهتدي ذاته .. وأن ضرر الضلال والإلحاد والتحدى يعود على المعارض والملحد نفسه :

« من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها » (٤٥) ..

فأمر الهداية والضلال أمر شخصي تعود آثاره على الشخص ، دون أن تعود على الدين ، بنفع أو ضرر . وعلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام جاءه نفر من الأعراب بتفكيرهم البدائي ، وهو التفكير المرتبط بالمصلحة الشخصية ، وعندما التقى هذا نفر به صلوات الله عليه امتنوا عليه بأن أسلموا وأصبحوا من أمته وجماعته . فنزل الوحي يفصل فيمن هو يجب أن يمتن على الآخر : أهو الله الذي هداهم للإيمان ، أم هم الذين أعلنوا إسلامهم ؟ ، ويحدد أن صاحب المنة هو الله وحده :

« يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على إسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ان كنتم صادقين » (٤٦) ..

على أن الذين يرتدون عن دين الله بإلحادهم وبسخريتهم من مبادئه وبتصورهم أنهم أرفع من أن يعبدوا إلها لا يرونه - ولا يستطيعون أن يخضعوا حياته جل جلاله إلى اختبار عضوي أو مادي أو ملاحظة حسية - يجب أن يتوقعوا أن إرادة الله - وهي قانون لا يتخلف عنه أي شأن من

(٤٥) الاسراء : ١٥

(٤٤) المائدة : ٥٤

(٤٦) الحجرات : ١٧

شئون الموجودات في الكون - لا تتركهم إلى غير أجل يستمرئون عبثهم في التفكير والتصور . وقد أعلنت هذه الإرادة عن نفسها فيما وعد به الله سبحانه في مصير مثل هؤلاء المرتدين في أية فترة من الفترات في تاريخ البشرية وهو مصير انقضاء أمرهم في التوجيه والزعامة ، وإحلال غيرهم ممن هم أعلى في حبهام لله والإيمان به ، محلهم في قيادة مجتمعاتهم : « يا أيها الذين آمنوا (أى أعلنوا إيمانهم) من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين (أى أصحاب تواضع في علاقتهم بإخوانهم المؤمنين) اعزة على الكافرين (وأصحاب منعة وقوة في مواجهة الملحدين الماديين) يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » (٤٧) . .

إن تصور الملحدين بإلحادهم والمرتدين عن دين الله بردهم ، أنهم بإلحادهم وبردهم يقضون على دين الله تصور ضيق . دفع إليه غرورهم واستكبارهم ، وغفلوا في الوقت نفسه عن سنن الحياة البشرية والقوانين التي تحكم هذا الكون ، وهي سنن وقوانين تفصح عن تدبير الله ، وقدرته وشمول علمه . لم يسألوا أنفسهم : لماذا تتغير المجتمعات ؟ . ومتى تتغير ؟ . وهل تتغير إلى الضد أو النقيض ، أم تتغير إلى المساوق والشبيه ؟

إن تغير المجتمعات هو تغير في قيادتها وفي مبادئها فمجتمع الرسول عليه السلام يختلف عن مجتمع الجاهلية والمادية السابقة عليه : في قيادته وفي القيم العليا التي آمن بها أفرادها ، وفي العادات والتقاليد الجديدة التي دفعهم التحول الإسلامي إلى تكوينها والسير عليها . أما أفرادهم فهم من الأفراد السابقين ، والقوى منهم في الإيمان كان القوى أيضا في الجاهلية والمادية السابقة عليه . والتغير من المجتمع الجاهلي والمادى السابق إلى المجتمع الإسلامي والإنساني هو تغير من النقيض إلى النقيض ، وليس تغيراً إلى الشبيه .

وإذن إذا ساد الإلحاد والارتداد فترة من الزمن لا بد أن تتغير هذه القيادة المرتدة والملحدة إلى قيادة على النقيض منها ، وهي القيادة المؤمنة .

وإذا استحال أن تسود موجة الإلحاد والارتداد عن دين الله إلى يوم  
البعث فإنه من المتوقع : التغيير . ولكن متى ؟ ذلك مرهون بإرادة الله .  
وعلى كل حال : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين  
أعزة على الكافرين يتجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل  
الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » (٤٨) . .



● غير المؤمن بالله لا يقدم على القتال الا عند التفوق في الاعداد والتحصين :

.. يخبر الله المؤمنين بأن نفوس الماديين من بنى إسرائيل تهتز وتضطرب  
كثيراً إذا التقت بهم ، كمؤمنين بالله ، واهتزازها ، واضطرابها من  
المؤمنين أكثر من اهتزازها واضطرابها من الله العزيز الحكيم :  
« لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ، ( ويعمل القرآن ذلك بقول الله تعالى  
بعد هذا ) : ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » (٤٩) . . ( أى لا يستخدمون  
المنطق والفهم السليم في حياتهم . إذ لو استخدموا المنطق والفهم في اعتقادهم  
وتصرفاتهم لآمنوا بالله وحده ، ولم يكفروا بالبعث والحياة الأخروية .  
وإذا وصلوا بالمنطق وحجة العقل إلى الإيمان بالله أصبحوا لا يخشون أحداً  
إلا الله وحده . ولكنهم وقعوا تحت تأثير المادية : يقدرون القوة المادية  
وحدها .. ويخشون العدد والكم .. ويؤثرون المشاهد المرئي ، ويتوجسون  
خيفة من حجمه وضخامته . ولو علموا : أن إيمان المؤمن بالله هو الذى  
يدفعه إلى القتال والاستشهاد في ميدانه ، والجهاد في سبيل الله ، بعد  
النفس ، وبالمال ، والولد ، لقدروا الروح أكثر من تقديرهم للكم  
المجسم ) .

وتفريعا على إخبار الله المؤمنين بهذا الوضع النفسى للماديين من  
بنى إسرائيل : يعلن المؤمنون بنتائج هذا الوضع في حياة أولئكم الماديين ،  
حتى يستطيع المؤمنون أن يحددوا موقعهم منهم :

فيذكر أن أولئكم الماديين من بنى إسرائيل - وهو شأن عام للماديين  
أينما وجدوا في أى وقت ومكان - لا يتوجهون لقتال المؤمنين ولا يباشرون

مقاتلتهم إلا في حصون محكمة ، أو من وراء جدار . أى من وراء مانع من الموانع التي تعطى للمقاتل فرصة التفوق على مقاتله . وهي فرصة الاحتفاظ بحياته من جانب ، وإصابة المقاتل الآخر من جانب آخر . وقد يكون هذا الجدار استحكاماً من الاستحكامات الحربية .. وقد يكون تقدماً علمياً في نوعية السلاح الذي يستخدمه المقاتل . ويقول في ذلك القرآن الكريم :

« لا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة أو من وراء جدر » (٥٠) . .

ويعود القرآن بعد ذلك لتوضيح : أن تجمع الماديين عند القتال في القرى المحصنة أو من وراء جدر لا يعبر عن وحدة متماسكة بينهم . لأن الماديين عادة تفرقهم المصالح الشخصية . إذ طالما الأنانية تسود تفكيرهم ، وطالما تسود المصالح الفردية الروابط بينهم ، فإن تجمعوا فلوقت قصير ، ولا يتجمعون إلا إذا ضمنوا الوقاية من الأخطار على حياتهم كأفراد :

« بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ( والمراد بالأس بينهم هو الخصومة بين بعضهم بعضاً ، ولا تحل الخصومات في العلاقات بين الأفراد إلا إذا سادت الأنانية وساد الحرص على المنافع الشخصية وحدها . فإذا اشتد الأس واشتدت الخصومة بين الأفراد ، فحتماً لا يوجد تجمع منهم ، يعبر عن وحدة متماسكة بينهم . إذ قلوبهم عندئذ موزعة ومفرقة . وهي شتى ، حسب تعدد الأهواء في المنافع الفردية ، ثم يكرر القرآن مرة أخرى سبب وجود هذه الظاهرة في حياة الماديين ، وهي ظاهرة الفرقة ، وعدم التماسك ، فيقول ) : ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (٥١) . .

( أى لا يستخدمون حكمة العقل فيما يفكرون ويعتقدون وإنما تغريهم ماديات الحياة ويقعون تحت تأثيرها ، ويشتد سعيهم للاستمتاع بها ، وبذلك تبقى الأهواء والشهوات مسيطرة عليهم ، وليس العقل ، وليست الحكمة ) .

وخلاصة ما يوحى به الله في هذه الآية في سورة الحشر :

أولاً : أن الماديين من بنى إسرائيل – كشأن الماديين عادة – يرهبون المؤمنين ، ويخشون لقاءهم في القتال .

ثانياً : أنهم إذا أرغموا على قتال المؤمنين قاتلوهم في حصون محكمة ،  
وفي تفوق استراتيجي يضمن لهم الوقاية من الأخطار .

ثالثاً : إن تجمعهم في وقت من الأوقات لا يدل على تماسكهم وعلى  
وحدتهم . بل الخصومة الفردية بينهم شديدة ، سعياً وراء المنافع المادية .

وهكذا عوامل الضعف في الجانب النفسي قائمة لدى الماديين . ولا يمكن  
لهم أن يغيروا هذه الظاهرة النفسية لديهم ، إلا إذا غيروا أنفسهم أولاً .  
وتغيير أنفسهم بتغيير منطقتهم وتفكيرهم في الاعتقاد والسلوك . إذ عندئذ  
يسهل عليهم الإيمان بالله ، وهو وحده الضمان للتغلب على عوامل  
الضعف .

والمؤمنون بالله يجب عليهم لذلك : أن يأخذوا في حسابهم عند تحديد  
موقفهم من الماديين : هذه الظاهرة النفسية . وهي ظاهرة الحرص على  
الحياة التي ينشأ عنها التردد فلا خروج إلى القتال ، إلا في ظل وقاية قوية ،  
وفي ظل ضمان من الأخطار ، وإلى وقت قصير إن خرجوا في ظل  
الاطمئنان النفسي إلى الوقاية الكافية . وقد وصف القرآن اليهود الذين  
وقعوا تحت تأثير المادية ، وكذلك الوثنيين الماديين بقوله :  
« ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا ، يود أحدهم أن يعمر  
ألف سنة » (٥٢) .. أما المؤمن إذا استشهد في سبيل الله فيعتقد أنه حي  
يرزق عند ربه ، ولذا هو يسعى إلى الاستشهاد في ميدان القتال :  
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون .  
فرحين بما آتاهم الله من فضله » (٥٢) .. وهكذا الإيمان عامل إقدام  
.. والمادية عامل تردد ونكوص .

\* \* \*

### ● اعلان الحق تعبير عن قوة الايمان :

ينطق الإنسان بالحق بينه وبين نفسه .. وقد ينطق به في غيبة التهديد  
والخوف من الآخرين .. ولكن النطق بالحق على هذا النحو أو ذلك ،

(٥٢) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠

(٥٢) البقرة : ٩٦

لا يدل على الإيمان عندئذ فضلا عن القوة فيه . والناطق بالحق على هذا النحو أو ذلك : لم يمارس الحرية البشرية فيما أعلن أو فيما نطق به . لأن الحرية ليست هي التمكن من الممارسة ، ولكنها الممارسة عندما تكون هناك قيود من الآخرين ، تحول عادة دونها .

إعلان الحق يكون دليلا على قوة الإيمان به ، عندما يوجد تهديد من الآخرين ضد إعلانه ، أو عندما يوجد خوف من الآخرين بسبب إعلانه . أى عندما يكون الجو لإعلان الحق غير خال من العقبات ، أو المخاوف .

إعلان الحق فضيلة إنسانية . شأنها شأن كل الفضائل التى يتميز بها فريق من الناس على فريق آخر . والفضائل الإنسانية تكتسب بالإرادة والتحمل .. تكتسب بالسعى والمجاهدة النفسية .. تكتسب بالعمل القائم على الشجاعة والثبات . فقدرة الإنسان على الحرمان من المتع المادية لا تكون فضيلة إلا إذا استطاع الإنسان أن يحصل على هذه المتع أولا ، ورغم الحصول عليها يمارس الحرمان منها . ولا تكون إطلاقاً عند العجز وعدم التمكن منها .

وعطاء الإنسان للآخرين لا يكون فضيلة إنسانية إلا إذا كان عن إرادة وعن رغبة قوية فى العطاء : « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً » (٥٤) .. ولا يكون فضيلة إذا دفع إليه الخوف من الآخرين ، أو التهديد منهم . إذا دخله الإلزام من الغير .

كذلك الإعلان عن الحق يكون دليلا على قوة الإيمان ، إذا نشأ عن إرادة قوية تذلل العقبات أو تتجاوز العقبات القائمة .. إذا كانت هناك مجاهدة نفسية فى وقوعه .

وكذلك الحرية البشرية لا تكون فضيلة يمارسها الإنسان إلا إذا رافقها سعى لعدم الاهتمام بالقيود ، والتغلب نفسياً على الصعاب التى يضعها الآخرون .

ولأن المجاهدة النفسية أمر ضروري في كسب الفضائل .. أى مجاهدة الشهوة والهوى ، والخوف ، والتهديد : ضرورة في كون الفعل أو عدم الفعل يتصف بالفضيلة كان المتصفون بالفضائل الإنسانية هم القلة بين الناس .. كانوا هم الآحاد بين العشرات والمئات .

والرسل عليهم الصلاة والسلام كانت مجاهدتهم النفسية في فترات حياتهم مقدمة في اختيار الله إياهم لرسالاته للناس . فإذا قرأنا قوله تعالى بشأن إبراهيم عليه السلام « قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه (أى نموذج وقدوة حسنة) إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده » (٥٥) .. إذا قرأنا هذه الآية وجدنا أن إعلان إبراهيم مع القلة التي آمنت به . للحق في عبادة الله وحده ، كان دليلا على قوة الإيمان منه ومن القلة المؤمنة به .. وكان دليلا كذلك على أنهم جاهدوا أنفسهم حتى وصلوا إلى حرصهم على الحق والإعلان عنه . فظروف معيشتهم بين الكثرة المادية من شأنها أن تضع الصعاب في طريقهم إلى الإيمان بالحق أولا ، ثم إلى إعلانه ثانيا . وقد أعلنوا الحق في وقت هددوا فيه بالرجم والقطيعة . فعلى إثر إعلان إبراهيم : الإيمان بوحدة الألوهية - وهو الحق الذي اعتقده - وجه إليه أبوه هذا التهديد : « قال اراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجمك ، واهجرنى مليا » (٥٦) .. وإبراهيم في إصراره على الإيمان بالحق والدعوة إليه جهاراً ، لم يملك إلا أن يشفق على أبيه .. وإلا أن يعتزل قومه في باطلهم فكان جوابه : « قال سلام عليك ساستغفر لك ربى ، انه كان بى حفيضا . واعتزلكم وما تدعون من دون الله » (٥٧) ..

ولا شك أن موقف إبراهيم من أبيه وقومه ينطوى على مجاهدة نفسية ، كما أنه تعبير عن الحرية التي يمارسها الإنسان متجاوزا بها القيود والصعاب التي تكتنف ممارستها ، ولذا كان موقفاً معبراً عن قوة الإيمان بالحق .. وبالتالي كان أسوة حسنة للمؤمنين الأحرار .

\* \* \*

(٥٦) مريم : ٤٦

(٥٥) المنتحة : ٤

(٥٧) مريم : ٤٧ ، ٤٨

## ● قوة الإيمان كفيلة بتعويض النقص المادى فى مواجهة الأعداء :

قضية « بدر » أن المؤمنين كانوا ضعافا . كانوا قليلى العدد ، وقليلى العدة بينما أعداؤهم من الماديين الوثنيين كانوا على العكس : كانوا كثيرى العدد ، وكثيرى العدة .. كانت الزعامة لهؤلاء فى المجتمع المكى ، وكان الأتباع مع كثرة عددهم رهن إشارتهم فى الحرب قبل السلام . وكان المال مثلا فى جوانب عديدة ، وقيماً لديهم ، ورغم عدم التكافؤ بين الطرفين : طرف المؤمنين .. وطرف الماديين الوثنيين إذ ذاك ، كان النصر للضعفاء فى القتال ، عندما اشتبكوا فى « بدر » . كان النصر للمؤمنين وهم على القلة فى العدد والكفاف فى المعيشة ، والتواضع فى الإعداد ، وسوء الوضع فى ميدان القتال . ويحكى نصر المؤمنين فى هذه الموقعة قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة ، ( أى وأنتم ضعاف فى الجانب المادى ) فاتقوا الله لعلمكم تشكرون » ( ٥٨ ) . . ( أى فاستمروا فى اتباع هداية الله لعل استمراركم فى اتباعها يكون تعبيراً عن شكركم إياه على هذا النصر فى تلك الموقعة ) .

هل كان نصر تلك القلة من المؤمنين ببدر نتيجة لمفاجأتهم الأعداء عند عودتهم من رحلتهم من الشام ؟ أى هل لم يتوقع هؤلاء الأعداء أن تفاجئهم تلك القلة المؤمنة بالمدينة وهم فى طريق عودتهم إلى مكة ؟ فلما فاجأتهم واعترضت طريقهم ظنوا - أو اعتقدوا - أن المؤمنين لا يواجهونهم مع علمهم بقوتهم ، إلا وهم أنفسهم أقوياء .. إلا وهم كثيرون فى عددهم ، وإلا وهم على إعداد قوى للقتال ؟ أى أن عنصر المفاجأة كان من عوامل النصر . إذ أربع هؤلاء الأعداء . ومتى ملك الرعب قلوبهم فلا يستطيعون أن يدبروا شأن القتال ، فضلا عن أن ينتصروا فيه ، ويشير القرآن إلى ذلك فى قوله تعالى : « بل الله مولاكم ، وهو خير الناصرين . سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً » ( ٥٩ ) . .

فعنصر المفاجأة « ببدر » كان سبباً مباشراً فى رعب الأعداء واضطرابهم فى القتال ، بينما شركهم بالله وكفرهم به كان السبب فى أن دبر المؤمنون

( ٥٩ ) آل عمران : ١٥٠ ، ١٥١

( ٥٨ ) آل عمران : ١٢٣

بالمدينة لهم هذا الاعتراض الذي فاجأهم . وتدير المؤمنين هذا الظرف لأعدائهم يمثل إرادة الله في هذا الكون . لأن ما يقع فيه لابد أن يكون مراداً لله .

هل الإيمان بالله لدى المؤمنين عند ذهابهم لاعتراض أعدائهم « بيدر » في طريقهم إلى ديارهم .. وعند لقائهم بهم في ساحة القتال قد بلغ في نفوسهم مستوى جعلهم يرون الشهادة في سبيل الله هي أسى هدف لهم في حياتهم ، فتجاوزوا بنظرهم كل شيء في الدنيا إلا أن يبيدوا أعداءهم الآن ، إفساحاً لطريق الإيمان ، بحيث لا يعوق أو يسد ثانية من الصادين عنه ، والعابثين بالقيم الإنسانية في حياة المجتمعات البشرية ؟ إن مستوى الإيمان الذي كان عند المؤمنين بيدر لم يتطرق إليه ضعف إطلاقاً وهم في ساحة القتال ، بعد أن ازدادت ثقتهم في الله بالنصر آنذاك ، إن هم صبروا وتحملوا ، وإن هم ظلوا على اتباعهم لهداية الله ، ويحكى هذا قوله تعالى : « اذ تقول للمؤمنين ( أى فى بدر ) ألن يكفكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى ، ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم ( أى الأعداء ) من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » (٦٠) .. وإمداد الله للمؤمنين بالملائكة قصد به اطمئنانهم إلى نصره ، والثقة في وعده بالنصر لهم ، إن هم التزموا : التحمل والصبر على المكاره والمشاق في القتال .. والتزموا اتباع هداية الله في التضحية بالنفس والمال ، في سبيل دعوة الله ومؤازرتها . وفي التوكل عليه .

وهكذا . كان عامل المفاجأة في الحرب .. وعامل الإيمان في قوته وفي اتباع هداية الله من العوامل التي عوضت ضعف المؤمنين ، وحولت هذا الضعف إلى نصر واضح ، ويحكى هذا النصر قوله تعالى . « وما جعله الله الا بشرى لكم ( أى ما جعل النصر مع الضعف في العدد والعدة إلا بشرى لقوة الإيمان ، ودليلاً على أن الإيمان عامل حاسم عند القتال ) ولنظمن قلوبكم به ، وما النصر الا من عند الله العزيز

الحكيم» (٦١) . . ( وما وقوع النصر إلا بإرادة الله ، وإرادة الله تقرن النصر دائما بالإيمان به ، والاستشهاد في سبيله ) .



### ● قوة الإيمان في عدم الاستسلام للصعاب والأزمات :

إن الإيمان بالله غاية في ذاته . وليس وسيلة لتحصيل المنافع لذات المؤمن . لأنه هو الاستناد إلى القيم العليا في العلاقات بين الناس جميعاً ، فمهمة الإنسان في حياته أن يعيش لمطلوب العقل ، والقلب فيه . ومطلوب العقل هو السلام في نفس الفرد .. والسلام كذلك بينه وبين غيره . ومطلوب القلب هو العواطف الإنسانية التي تتمثل في مثل : المودة والمعاونة .. والرحمة من القوى للضعيف . ومطلوب البطن والفرج فيه إذن يجب أن يكون في خدمة القلب والعقل ، وليس على حسابهما .

والإيمان بالله إن وجد - وهو الذي يدفع إلى الاستناد إلى القيم العليا في العلاقات بين الناس - وجد معه تواءم مطلوب القلب والعقل . وكلما قوى الإيمان في الإنسان كلما تزحزح إلى الوراء مطلوب الشهوة للبطن والفرج ، وكلما تقدم في نفس الإنسان الثبات على القيم العليا ، أى الثبات على السلام والاطمئنان .. والثبات على المودة ، والمعاونة ، والرحمة . وعلى العكس إن انعدم الإيمان أو ضعف ، وأصبح مطلوب الشهوة هدفا يسعى الإنسان إليه وحده ، بينما القلب والعقل في خدمة هذه الشهوة ووسيلة من وسائل تحصيلها . عندئذ تطفئ الأنانية في الذات . وإذا ما طغت الأنانية في كل الأفراد كان الإنسان تابعا لشهوته . والشهوة عمياء لا تبصر . ومن هنا كان الأناني في ضلال وحيرة : لا يعرف طريق السلام والاطمئنان لنفسه ، بينما تجره غريزة الدفاع عن النفس إلى الخصومة والمقاتلة للآخرين . كما لا يعرف غيره من الأفراد في الوجود معه ، أو لا يعترف بوجودهم ، كما يعترف بوجود ذاته . وبالتالي لا يعرف قيمة عليا في علاقته بهذا الغير .. لا يعرف مودة ، ولا معاونة ، ولا رحمة بينه وبين الآخرين .

---

(٦١) آل عمران : ١٢٦

.. والمؤمن بالله ينتظر أن يلقي من الذين لا يشاركونه الإيمان : عنتا ، ومشقة ، وقتالا خفياً أو صريحا . ينتظر ذلك منهم ، لأنهم لا يريدون أن يروا أحداً يحرك بينهم الإيمان بالقيم العليا في علاقات الأفراد .. لا يريدون أن يكون هناك نقد مباشر أو غير مباشر لأسلوب حياتهم ، وهو ذلك الأسلوب الذى ينفر من المشاركة الوجدانية أو المشاركة العملية في حياة الناس ، ويركز على السعى لمنافع الذات وحدها ، ولو على حساب حياة الآخرين ، في أى جانب من جوانبها .

وإذ ينتظر المؤمن بالله المشقة والعنت والقتال في حياته من الآخرين ضده ، فإن صبره وتحمله ، وعدم استسلامه للصعاب والأزمات هو الحل الوحيد لاجتيازه هذه الصعاب ، ثم لاحتراز النصر الأخير على أعدائه ، مهما كان وضعه هو ، ومهما كانت المفارقة واضحة بين وضعه هو الدليل ، والضعيف ، ووضع الآخرين من القوة المادية والإمكانات العديدة المتاحة لهم . لأن وضع أى إنسان ليس له ثبات ، وبالأخص وضع الملحد . لأن عامل التفرقة بينهم قوى ، وهو عامل الأناية والسعى وراء المصالح والمنافع المادية ، والحرص على حضورها في حياتهم . والتنازع والتفرقة من معاول هدم التكتل والتماسك بين الأفراد ، وبالتالي من العوامل التى تحول قوة التجمع إلى ضعف ، وعزة القوى إلى ذلة .

وتاريخ الأنبياء في قصص القرآن الكريم يركز على توضيح الأثر الإيجابى للإيمان القوى للرسول والذين آمنوا معه ، ليس في تخطى العقبات فقط . وإنما في بناء مجتمع يخرج من الضعف في العدد والإمكانات المادية إلى القوة المادية والمعنوية ، وفي نصر ميين لأصحاب القيم والمثل العليا في الحياة الإنسانية على الماديين الذين يعيشون لأنفسهم وحدهم ، رغم الطاقات العديدة التى تكون متوفرة لديهم ، يوم أن كان أصحاب الإيمان قلة في العدد والإمكانات .

ويذكر القرآن من هذا القصص قول الله تعالى : « وكأئن من نبي قاتل معه ربيون كثير ( أى كثير من الأنبياء في تاريخ الرسالة الإلهية قاتل معهم الألوفا من الناس ) فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله ( أى فما ضعفوا

في دعوتهم إلى الحق وفي تمسكهم به ، بسبب التحديات التي يواجههم بها أعداؤهم ) وما ضعفوا وما استكانوا ، ( وفي لقاءهم مع الأعداء في القتال . لم تبد عليهم أمارات الضعف ولم يخالج نفوسهم أمر الاستسلام للعدو إطلاقاً ، وذلك بفضل تحملهم وصبرهم على مواجهة التحدي في السلم ، وعلى مشقة القتال وعنفه في ميدان الحرب ) والله يحب الصابرين . ( ومن أجل أن الصبر قوة وأنه نصف الإيمان ، يبلغ رضاء الله على المؤمنين الصابرين درجة الحب لهم . ولذا هو سبحانه حفيّ بوقايتهم من الهزيمة وبتوفيقيهم إلى النصر ) وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأسراننا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين « (٦٢) . . ( ومن دعاء هؤلاء المؤمنين يتضح أنهم لا يشركون الدنيا في إيمانهم وفي قتالهم من أجل الإيمان . وإنما كان دعاؤهم خالصاً لتثبيت أقدامهم في ميدان القتال ، ولنصرهم على أعداء الحق وهم أعداؤهم ، مما يدل على أن عدم استسلامهم في القتال ، والصعاب والأزمات في وقت الحرب ، والسلم ، كان بسبب قوة إيمانهم مما دفعهم دائماً إلى الصبر والتحمل فالنصر والعزة ) .



### ● التطبيق العملي هو محك الايمان :

.. كثير من الذين يعلنون ولاءهم ، ويعبرون عن إيمانهم يحترفون بما يعلنون به .. يبغون كسباً مادياً ، أو جاهاً ، يتوسلون به إلى المتعة المادية . والمؤمن الحق إذا انتظر شيئاً من إيمانه في حياته فهو أن يقدم التضحية بالنفس ، والمال في سبيل ما يؤمن به . ويجيء قول الله تعالى : ( ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ) (٦٢) . . يجيء هذا القول مقنناً لمقياس سليم يقاس به الإيمان الحق ، ويفصل به بينه وبين الاحتراف به .

والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال هو الأمر المرتقب من مؤمن بالله ورسوله ، لأنه ليس من السهل أن يسلك الإيمان بالله طريقه في مجتمع مادي أو جاهلي ، دون مقاومة من زعمائه ، ودون أزمات وشدائد ، تواجه المؤمنين وقد تهزهم هذا عنيقا في بعض الأحيان . فإن لم يكن المؤمن على استعداد نفسي لتقبل التعذيب والإرهاب ، وتقبل المحن في ماله ، فإنه لا يستطيع مواجهة الطغيان .

والإيمان بالله إذن معادلة تساوي التضحية بكل عزيز على الإنسان . حتى إذا جاءت الموجة الطاغية في وقت ما ضد الإيمان كان هناك ثبات لدى المؤمنين ، وكان هناك عزم وتصميم على قبول التحدي . وثبات المؤمن في إيمانه هو عامل نصره ، وبخاصة عند التحدي والطغيان ضد ما يؤمن به . فالحياة البشرية لا يدوم فيها وضع واحد ، لأمر واحد . وإنما الشيء — كما يقال — إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، فالطغيان سيتراخي ويحل التسامح محله يوما ما . والتحدى سيضعف ، ثم يزول في وقت لاحق حتما . وهنا الثابت على الإيمان يخرج من المحنة أكثر ما يكون صلابة وقوة . والثابت على إيمانه قد ضحى فقط — في فترة الأزمة والشدة — مما يتعلق ببدنه ، إن عذب أو استشهد ، أو بماله إن صودر وأخذ منه ، أو بذله هو عن رضا نفسى في الدفاع عن دين الله .

.. وجزاء المؤمن الثابت على إيمانه إذن ليس في الدنيا — أى لا يرتبط بمتعة دنيوية — بل جزاؤه عند الله في آخرته . أما الدنيا فقد تكون لكافر أكثر مما هي لمؤمن : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظوراً . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً » (٦٤) . .

وسعى المؤمن للآخرة داخل فيه ترقب الأزمات ومواجهة الطغيان . وهجرة المؤمن بدين الله ، فيها ابتلاء من الله لا يقل عن الابتلاء بالمعيشة في المحن والشدائد ذاتها .

(٦٤) الاسراء : ١٨ - ٢١

أما محترفو الإيمان والإعلان عنه فلهم بريق يلمع ، ويعرى :  
« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع لقولهم » (١٥) ..

ولكن في واقع الأمر هم أعداء الإيمان : « كأنهم خشب مسندة ،  
يخشبون كل حينهم عليهم ، هم الصمد لنا نحنهم ، فأنزلهم الله ، أنى يؤفكون » (١٦)  
أى هم أشباح لا خير فيهم كالأخشاب المسندة إلى الحائط التي لا تؤدي  
وظيفتها ، ويمتلك الجبن نفوسهم فيظنون من الخوف أنهم المقصودون عند  
كل حركة تقع في محيط المجتمع .

محك الإيمان الصادق إذن هو التطبيق العملي له في الحياة ، بالتضحية  
وإثارة الوقوف بجانب دين الله ، على المال والنفس ، والأجر عليه عند الله  
وحدده .

والمحترف بالإيمان منافق مخادع ، يعرى بمنظره وحديثه ، وينفر  
بمخبره وجبنه وعلمه . والحاكم الموفق هو الذى لا يخدع بلحن القول  
ولا يغتر بظاهر الأمور .

\* \* \*

🕉️ اتنجاه الإنسان الى الله عند المحنة ، وانتولى عنه عند النعمة :

تلك طبيعة الإنسان : يطغى عندما يستغنى .. ويذل عندما يحتاج :  
« كلا ان الانسان ليطغى . أن رآه استغنى » (١٧) ..

« وإذا مس الناس ضرر دناؤا ربهم منيبين إليه ( أى عائدین إليه بالتوبة )  
ثم إذا أذاقهم منه رحمة ( أى نقلهم من جديد من ضرهم وفقدهم ومرضهم  
إلى الرخاء والصحة ) إذا فرغ من ربهم يشركون » (١٨) ..  
( أى ينكرون وحدانيته ويسلكون معه مسلك الوثنيين الماديين في العبادة )  
.. تلك خصيصة للطبيعة الإنسانية لا يخرج عنها إلا مؤمن بالله ، يعرفه في  
الضراء والسراء ولا يشرك بربه أحدا .

إن الغرور بالأموال وبالإمكانات العديدة وبالأولاد والقوة المادية

(١٦) المنافقون : ٤

(١٨) الروم : ٢٣

(١٥) المنافقون : ٤

(١٧) الملق : ٦ ، ٧

وبالجاه والسلطة والنفوذ يجعل من الإنسان إلها .. أو شبه إله .. يجعل منه غير خاضع وغير عابد إلا لإمكانياته وقوته المادية وحدها ، وهنا يستعلى على الآخرين ، ويرى أن مسلكه في الحياة هو الطريق الصحيح الذي يجب أن يتبع ، وإن خالف هداية الله التي راعى فيها اعتبار الناس جميعاً لا فرق بين كبير وصغير .. وقوى وضعيف .

وبقدر ما يرتفع المعرور بقدرته وطاقاته التي تمثل نعم الله عليه .. وبقدر ما يستعلى على الناس بسلطانه وجاهه : بقدر ما يسقط ويذل ، ويعلم عن حاجته ومذلتة .. وبقدر ما ينزوي في ركن المحنة والشدائد يدعو الله ليخرجه من محنته وشدته . فإذا رفع الله عنه المحنة لا يمنعه من الطغيان من جديد إلا إيمانه بالله ، إن آمن به .

ولذا : تدعو رسالة الله الناس أولاً إلى الإيمان بشيء واحد : وهو أن النعم التي هم فيها هم من الله وحده : « وما بكم من نعمة فمن الله » (٦٩) . فإذا استقر في نفس الإنسان : أن المال ، والصحة ، والجاه ، والسلطة ، والقدرة هي أمور ليست ذاتية ، أي ليست لذات الإنسان ، وإنما من فضل الله على الإنسان : كان موقفه منها موقف المعترف بهذا الفضل ، وكان تصرفه فيها طبقاً لما تنصح به هذه الرسالة . وهي لا تنصح إلا بالاستقامة وعدم الغرور والطغيان ، أي هي لا تنصح إلا بتوجيهها لصالح الناس جميعاً ، وليس للاعتداء أو لظلم أحد بها .

أما طبيعة الإنسان في بعدها عن هذا الإيمان فكما وصفتها بقية الآية في قول الله تعالى : « ثم إذا مسكم الضر فائيه تجارون » ( أي ترفعون أصواتكم بالنداء والشكوى ) ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فرق بين منكم يربهم يشركون » (٧٠) . . ( إذ أنهم يسيئون من جديد في موقفهم من النعم التي عادت إليهم بفضل الله ورفع الضر عنهم ) .

والإيمان بالله إذن لا تعود منفعتة على الله . فهو الغنى وفوق المنافع في حياة الإنسان . وإنما منفعتة تعود على المؤمن وعلى مجتمع المؤمنين بالله أولاً

وأخيراً : تعود على المؤمن لأنه يتقى به الطغيان والمذلة معاً .. طغيان المرور عند القوة ، ومذلة المهين عندما تزول أسباب صلفه وكبريائه . وتعود على المجتمع لأنه يجنبه عوامل السقوط والتغيير ، ويبقى على تماسكه وقوته ، التي تقوم على الاعتبار البشرى وحده بين الأفراد جميعاً .

نعم الله كثيرة . وحسن استخدامها أدعى لبقائها .. وسوء استعمالها يؤدي إلى الغرور فالسقوط في هاوية الحسرة والندم . وهداية الله هي الطريق للموقف السليم إزاءها .



### ● المستضعفون في الأرض يؤخذون على استسلامهم للطغيان :

الطغيان لا يكون عادة إلا في مجتمع مادي يشرك بالله أو يعبد غير الله من الأوثان المادية . والطغيان ظاهرة تلازم الحرص على الزعامة في المجتمع ، والغرور بالقوة المادية : قوة المال ، أو العصبية في القربى أو في ترابط المنفعة .

والمجتمع الذي يقوم فيه الطغيان ينقسم عادة إلى مجموعتين : مجموعة المستكبرين ، أو المستعلين ، ومجموعة المستضعفين ، أو التابعين ، ومجموعة المستضعفين تحاول أن تخلى سبيل نفسها من مقاومة الطغيان ، أو من أنها تابعة للمستكبرين وهم الزعماء في المجتمع ، بأنها مكرهة أو مغلوبة على أمرها .

وكذلك شأنها في التبرير إذا ما دعيت إلى السلام وإلى الروابط الإنسانية في العلاقات بين الأفراد ، وطرح التبعية إلى الطغيان وعدم السير في طريق الطغاة المستعلين : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ( والذين ظلموا أنفسهم هنا عندما تحضر الملائكة وفاتهم هم الذين قبلوا طريق المستكبرين من زعماء المجتمع ، وهم الذين كفروا بالله واليوم الآخر ، حرصاً على زعامتهم ، وبقائهم أصحاب كلمة ) قالوا فيم تنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، ( أى عندما تسأل الملائكة هؤلاء المستضعفين عن السبب الذي من أجله اتبعوا زعماءهم : في الكفر والإعراض عن رسالة

الله : يجيئون بأنهم كانوا مستضعفين ولا حول ولا قوة لهم في مواجهة قوة الطغيان السائدة بينهم ، وهذه الإجابة لا تبرئهم من المسؤولية الشخصية . إذ كان أمامهم طريق آخر مفتوح ، وهو طريق الهجرة إلى الخارج .. كان من واجبهم نحو أنفسهم أن يؤمنوا بالله وبرسالته عندما تعرض عليهم ، وأن يعرضوا عن تهديد زعمائهم ثم ينقذوا أنفسهم ولو لفترة مؤقتة بالهجرة إلى غير وطنهم ) قائلوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، ( ولذا كان رد الملائكة عليهم منكرين عليهم تبريرهم : أن أرض الله واسعة ، وكان يمكن أن تهاجروا فيها وأن تختفوا من مكان إلى مكان ولذا كان العقاب وارداً لا محالة ، وكان المصير السيء إلى جهنم حتماً ) فأرئيتك ماذا لهم جهنم ، وساءت مصيراً» (٧١) ..

فالمستضعفون بقبولهم الضعف والاستكانة للزعماء الطغاة فرطوا في حق أنفسهم ، وأعطوا الفرصة للمستكبرين في أن تطول قيادتهم ، وبالتالي يطول ظلمهم وطيغياتهم .

.. والهجرة كانت البديل عن قبول الضعف ورفض دعوة الإنسانية التي أتت بها رسالة الله . فلم يكن هناك إذن اضطرار لقبول التبعية . فضلا عن أن الهجرة كملجأ للخلاص من الظلم والطيغيان والابتعاد عن مصدره فإنها تتيح الفرصة للمهاجر في الحصول على الرزق ، وربما في ظروف سهلة ميسرة : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعما كثيرا وسعة » (٧٢) .. وهكذا « الحرية » التي كرم بها الله الإنسان لا ينبغي أن يقيدتها ظلم ظالم ولا طغيان طاغ . وإنما يجب ممارستها في كل الأوضاع : في الشدة ، والرخاء . وإذا كان الله وهو الخالق الرازق لم يربط رزقه للناس بإيمان وبكفر به ، فليست هناك في الوجود قوة تخيف الإنسان وترهبه بسبب الإيمان .

إن الإنسان هو الذي يرسم لنفسه شبح الخوف في الحياة . فالظالم أو الطاغى قد يكون في نفسه أكثر جبناً وضعفاً . وطالما الله هو الوكيل للمؤمن فنعم السند ، وهو حصن الأمان .

(٧٢) النساء : ١٠٠

(٧١) النساء : ٩٧

وهكذا المستضعفون في المجتمع ملومون ومسئولون أمام الله عن قبولهم الضعف والتبعية لظلم زعمائهم وطغيانهم في مجتمعهم . إذ ليس المطلوب منهم أن يقاوموا حتما ، وجها لوجه ، وإنما بإمكانهم لتفادى الطغيان أن يهاجروا بإيمانهم في أرض الله وهي رحبة ، وفيها الوقاية من السوء .



### ● الله يمهل .. ولا يمهل :

نقرأ قول الله تعالى : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون » (٧٣) . فنقف من هذه الآية الكريمة على أن الله جلت قدرته لا يمهل شأن الظالمين إذا لم يجازهم فوراً . والظالمون هنا هم أولئك الذين أعرضوا عن رسالة الله وكفروا بها .. هم أولئك الأفراد الذين ظلموا أنفسهم في الدرجة الأولى ، بعدم اتباعهم لهداية الله ، فضلوا وأضلوا غيرهم . وإذا كان الله لا يمهل شأنهم ولا يغفل عن جرمهم ، فإنه فقط يؤخر عقابهم إلى يوم الجزاء العام : « إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار » (٧٤) .. فيعطيهم الفرصة في بقية حياتهم الدنيوية ليراجعوا ظلم أنفسهم بعدم سلوكهم الطريق المستقيم ، وهو طريق الهداية الإلهية . فإذا استمروا في غيهم وضلالهم وفوتوا فرصة المراجعة في حياتهم ، زادوا من ظلم أنفسهم ، وازدادوا من أجل ذلك إثماً ، وتضاعف جزاؤهم : « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً ، ولهم عذاب مهين » (٧٥) .. أى لا يظن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والإعراض عن رسالة الله : أن إرجاء جزائهم إلى يوم الآخرة جاء نتيجة الانصراف عن أمرهم ، وغض النظر عن حسابهم ، وفي ذلك عندئذ مصلحة لهم ؟ . وإنما يجب أن يعلموا : أن هذا الإرجاء إن تجاوزه ، وهم في غيهم ، ولم يفيئدوا منه في مراجعة وضعهم من رسالة الله ، فإنه يكون لهم مصدر مضاعفة لجريمتهم ، وبالتالي لجزائهم .

فالله سبحانه الذي لم يشأ أن يجعل نعمته على الناس مرتبطة بالإيمان به . بل هو يعطى الكافر والمؤمن على السواء . وقد يعطى الكافر منها أكثر .

(٧٤) إبراهيم : ٤٢

(٧٣) إبراهيم : ٤٢

(٧٥) آل عمران : ١٧٨

مما يعطى المؤمن : « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظوراً . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض » (٧٦) . . والله سبحانه الذى ترك للإنسان حرته ومشيتته فى أن يقبل الإيمان به أو يرفضه : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (٧٧) . . هو ذاته : المولى جل جلاله الذى شاء رحمة منه للإنسان إذا تردى فى هاوية الضلال ووقع تحت تأثير شهوته وهواه فكفر بالله وبنعمته عليه : أن يعطيه الفرصة مرة أخرى ليخرج مما تردى فيه ، فلم يجازه فوراً على ترديه وعلى ضلاله ، وأرجأ محاسبته إلى اليوم الذى لا يتأخر عنه حساب ، وهو يوم الجزاء .

ومما ينسجم مع منطق الإنسان : أن الظالم لنفسه بالكفر بالله والإعراض عن رسالته ، إذا أضع هذه الفرصة – وهى فرصة إرجاء عقابه من الله – واستمر فى إعراضه فإنه يكون قد جلب على نفسه مضاعفة الإثم والعذاب معاً . وعندئذ لم يكن إرجاء عقابه فى مصلحته : « ولا يتسبين الذين كفروا إنما نملى لهم خير لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا أثماً ، ولهم عذاب مهين » (٧٨) . . هذا نوع من الظالمين . ولكن هناك ظالمون آخرون . وهم الذين تجاوز ظلمهم حدود أنفسهم ، وامتد طغيانهم واعتداؤهم على غيرهم فى مجتمعهم ، وأرهقوا من معهم فى المجتمع بالإجحاف فى المعاملة ، والتسلط عليهم ، بسبب الحرص على زعامتهم ، أو بسبب قوتهم فى المال أو العصبية .. هؤلاء الظالمون لا يرجىء الله جزاءهم إلى يوم الجزاء العام . وإنما يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، ويقوض زعامتهم لتحل محلها زعامة تؤمن به . والتاريخ يتحدث مثلاً عن زعماء ثمود إذ منعوا الأكرثية الساحقة من أتباعهم : أن يشاركوهم فى الماء والمرعى . فأرسل الله لهم رسولهم صالح يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى اتباع العدل بينهم وبين أتباعهم فيما هو مباح للجميع ، وهو الماء والمرعى ، وترك ناقة له ، ورجا أن يكون لها نصيب معلوم مما هو مباح لكل ، كاختبار لإيمانهم أو لكفرهم برسالته : « ويا قوم هذه ناقة الله ( أى ليست مملوكة لأحد )

(٧٧) الكهف : ٢٩

(٧٦) الإسراء : ٢٠ ، ٢١

(٧٨) آل عمران : ١٧٨

لكم آية فذروها تاكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب .  
 ( أى عذاب لا يؤخر إلى يوم الجزاء ) شعقروها فقال تمتعوا في داركم  
 ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب . فلما جاء أمرنا ( أى يهلك قوم ثمود )  
 نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ، ان ربك هو  
 القوى العزيز . وأخذ الذين ظلموا ( وهم الزعماء في ثمود أبوا أن يمارسوا  
 العدل بينهم وبين أتباعهم في الماء والمرعى ) الصيحة ( وهى الزلزال )  
 فأصبحوا في ديارهم جائمين . كان لم يغنوا فيها ، ( كأن لم يوجدوا  
 هناك إطلاقاً ) ألا ان ثموداً كفروا ربهم ، ألا بعداً لثمود ) ( ٧٩ ) . .  
 وإذا كانت ثمود مجتمعاً زراعياً تلاعب فيه الزعماء بنعمة الله في الزراعة  
 والحيوان فهناك مجتمع « مدين » كان مجتمعاً رأسمالياً . استغل فيه  
 المال أصحاب الزعامة وتلاعبوا بحرية الملكية في المال وأباحوا لأنفسهم  
 في معاملة غيرهم ما يعد ظلماً لهم واقتناتا على حقهم في الحياة فجاء رسولهم  
 شعيب يدعوهم إلى العدل في المعاملات المالية والتجارية ، بجانب  
 دعوته لهم إلى وحدة الألوهية ، فعابوا عليه دعوته واستهزأوا به .  
 فقوض الله عليهم ديارهم كأن لم يغنوا بالأمس فيها :  
 « وإلى مدين آتاهم شعيباً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ،  
 ولا تنقصوا الكيال والميزان ، انى أراكم بخير ( أى من غير نقص في الكيال  
 والميزان . فأتتم أصحاب ثراء ) وإلى الخاف عليكم عذاب يوم محيط » ( ٨٠ )  
 فكان جوابهم : « قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا  
 أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء » ( ٨١ ) . . ( أى أننا أحرار في أموالنا نتصرف  
 فيها كما نشاء ) . فلهم أن ينقصوا في الكيل والميزان . وإن أضر المتعاملين  
 معهم ، طالما يجلب ذلك عليهم وفرة في الربح . وكان جزاء الله لأهل مدين  
 جزاء فورياً للحيلولة دون استمرار الظلم بسبب الطغيان بالمال :  
 « ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين  
 ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جائمين . كان لم يغنوا فيها ، ألا بعداً  
 لمدين كما بعدت ثمود » ( ٨٢ ) . . وهكذا الظلم العام لا يرجىء الله جزاءه إلى  
 يوم الجزاء .

\* \* \*

( ٨٠ ) هود : ٨٤  
 ( ٨٢ ) هود : ٩٤ ، ٩٥

( ٧٩ ) هود : ٦٤ - ٦٨  
 ( ٨١ ) هود : ٨٧